الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ١٦٨ — ٢١ سبتمبر سنة ١٩٣٦ — السنة الرابعة

4 me Année, No. 168

Lundi - 21 - 9 - 1936

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
ــ ص
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات
الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ١٦٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ٥ رجب سنة ١٣٥٥ — ٢١ سبتمبر سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــدد

مصر والبلاد العربية

للدكتور عبد الوهاب عزام

بين مصر والبلاد العربية كل ما يؤلف بين الأقوام من وشائج القربى والتاريخ ، وكل ما يحكم القرابة من عقائد وعواطف وآلام وآمال ، وكل ما يؤكد الأخوة من حقائق ومنافع . والكلام فى هذا تبيين ما لا يعوزه البيان

يذهب المصرى إلى أحد الأقطار العربية فكأنما برح بقعة فى مصر إلى أخرى ؛ يرى وجوهاً يعرفها ولا تنكره ، ويسمع من أحاديث الماضى والحاضر ما يسمعه فى بلاده ، ويحدّث عن الهموم والمطامح التى تنطوى عليها نفسه ويخفق بها قلبه . حيثما توجه وجد أهلاً بأهل واخواناً باخوان ، وأبصر من ذكر التاريخ ، ومشاهد الحاضر ، وخطط المستقبل ، ما يوحى اليه أنه فى وطنه وبين قومه . وكأنه لا يذهب إلى هذه البلاد إلا ليرى بعينيه ما حدّثه به التاريخ وأحكمته فى نفسه النشأة والتعلم

ذهبت مرات إلى فلسطين والشام والعراق ، فكان يخيّل الىّ أينما سرت أنى لا أخطو إلا على صفحات من التاريخ المجيد ،

ولا أرفع بصري إلا الى عنوان من عناوينه فى صورة مسجد ، أو مدرسة ، أو قبة حنت على عظيم من أسلافنا أبطال الاسلام والعربية . وطوّفت فى العراق مدنه وقراه ، وحضره وباديته ؛ فكانت بغداد عندى القاهرة ، بل أجل ذكراً ؛ وكانت الكوفة والبصرة والموصل أعظم أثراً فى نفسى من طنطا والمنصورة وأسيوط ؛ وكانت مضارب شمر وبنى تميم أذهب بى فى التاريخ من مضارب القبائل المصرية . وأما دمشق الجيلة الجليلة فما دخلتها إلا ازدحمت علىّ أحداث التاريخ ورفعتنى مواكبه فسارعتُ إلى الجامع الأموى أنشد قول شوقى :

هذا الأديم كتاب لا كفاء له رثّ الصحائف باق منه عنوان

ولست بدعاً فى هذا فما أحسب مصرياً ذهب إلى هذه البلاد إلا شعر بما أشعر به

***

وليس الأمر بيننا تشابك أقوام واتصال أوطان فحسب ، ولكنه الحبّ المؤكد ، والودّ الصريح ، ينطق على ألسنة القوم ، ويتجلى فى أساريرهم ، ويبين فى أعمالهم ، ويشهد به اهتمام القوم بكل صغيرة وكبيرة فى مصر ، وتحدثهم عن علمائها وأدبائها وأحزابها وقادتها حديث المحبّ العارف الخبير ، وحرصهم على قراءة ما تخرجه مصر من كتب ومجلات وجرائد . وكثيراً ما نرى فى الشام والعراق من يعلم عن مصر أكثر من أبنائها . وإذا تحدث هؤلاء الاخوة الكرام عن مصر أشادوا بذكرها ، وأكبروا حضارتها ، وأعظموا مآثرها على العربية والاسلام ، معترفين مغتبطين لا جاحدين ولا كارهين ، وعدوا مجدها مجدهم ، وعزها عزهم ، ونخروا بها كما يفخرون ببلادهم

***

وتطلع البلاد العربية إلى مصر ، وانزالها هذه المنزلة أجدى الوسائل إلى التقريب بينها ، وتوحيد سننها فى التربية والتعليم ، والتأليف بين أبنائها . ولم يأل إخواننا جهداً فى التودد والتقرب . فماذا يجب على مصر ؟ ليست مصر أقل شعوراً باسلامها وعربيتها ، ولا أضعف تقديراً للوشائج التى تحكم بهذه البلاد أواصرها ، والمصالح التى توثق بها علائقها ، ولكن التاريخ السياسى فى العصر الأخير فرّق بين هموم مصر وهموم أخواتها ، وشغلها بغير الذى شغلوا به ؛ فلما أفاقت قليلا إلى نفسها وموقفها بين الأقطار والأمم لم يلحقها شك فيما بينها وبين أخواتها من أواصر وعرى لا تقوى الحادثات على فصمها . وكلما خف عنها عبء المصائب ازدادت شعوراً وبصراً بمكانتها بين اخواتها وما يجب عليها

إن على مصر أن ترعى القرابة وتجزى الود بالود ؛ وعليها أن تضطلع بالتبعات التى تحمّلها إياها ثقة البلاد العربية بها ، واقامتها منها مقام الأخ الأكبر . أسمع أحياناً بعض المتحدثين بهذا يقولون إن على مصر أن تستغلّ هذه الثقة ؛ وحاشا لله أن يكون الأمر استغلالاً أو اتّجارا ، إنما هو أخوة ومودة ، وتبعات وواجبات ، وتعاون على الوقوف فى معترك الحياة ، وتآزر على بلوغ الغاية التى تلتقى عندها مقاصدنا جميعاً . يجب على مصر أن تصلح نفسها وتكمل حضارتها ، وتعمل ما يوافق مكانتها ، وتسن السنن الصالحة لنفسها وغيرها . يجب عليها أن تشارك فى السراء والضراء ، ولا تقف بمعزل فى مصائب البلاد العربية ومسراتها ، بل تشارك جهد اليد واللسان والقلب . وعليها ألا تألو جهدا فى امداد من يستمدها ، وبذل ما تُسأل من معونة فى العلم والأدب وغيرهما موحية إلى كل مصرى يذهب إلى البلاد العربية أنه يذهب ليؤدى واجبا ويعاون أخا ، وأن واجبه حيثما كان من هذه البلاد كواجبه فى مصر ، وأن مقصده الأول أن يبذل من قواه على قدر طاقته ، لا يبغى جزاء ولا شكورا ، وإن لم يقصر إخواننا فى الجزاء والشكر

ثم على مصر ألا تتردد فى الاستفادة بما فى هذه البلاد من مزايا ، فلا ريب أن فيها من الآداب والأخلاق والصناعات ما يجدى علينا أن نتلقاه عنها ونحتذيها فيه

بالمودة والتآخى والتعاون وشعور كل جماعة بمكانها من الجماعات الأخرى ، وإدراكها ما لها وما عليها فى الجماعة الكبيرة الشاملة ، يتهيأ للبلاد العربية ما بين بحر الظلمات ونهر دجلة ما تطمح إليه من مجد وسعادة ، وما يكافئ تاريخها من حضارة ، حتى تؤدى نصيبها من الخير للجماعة البشرية كلها . وما أعظم ما ينتظر المجد من العرب ! وما أعظم ما تؤمل الانسانية فيهم !

عبد الوهاب عزام

مصرع هرة

للأستاذ عبد الحميد العبادى

كانت لنا هرة لطيفة ، ظريفة ، خفيفة الجسم ، مرهفة الحس ، طوافة بالليل ، جوالة بالنهار ؛ وكان أولادى يحبونها هى وصغارها الثلاث ، ويحْبونها بالفضل من طعامهم ، والكثير من عبثهم ؛ وعلى مر الأيام نشأت بين صغار الأنس وصغار الحيوان ألفة جعلت كلا يحتمل عبث كل ، ويجد فى ذلك لذة ومتاعاً

وشاء حر القاهرة الذى اتقدت جذوته فى أوائل الشهر المنصرم أن ينتجع أولادى بعض السواحل فراراً من وقدة الحر ، وابترادا بهواء البحر ومائه ؛ وشاءت ظروفى الخاصة أن أبقى فى القاهرة وحيداً إلا من خادم يرعى شؤونى إذا حضرت ، ويحرس المنزل إذا غبت . ففقدت الهرة وصغارها بتبدل الحال ما اعتدنه من الطعام إلا قليلاً يمسك الرمق ويستبقى الحياة

وكأن الهرة استشعرت شيئاً من الأنفة والأباء ، فلم ترض بالدون ، ولم تصبر على الهون ، وانطلقت تضرب فى الأرض تبتغى سعة الرزق لنفسها ولصغارها ، فكانت تعود من حين لآخر مطبقة فمها على مسلاخ أرنب ، أو مشاش عظم ، أو عصفور اقتنصته فى بعض الحدائق ، فتجمع صغارها على ما وفقت له من الرزق ، فيكون لهن منه عوض عما فقدن من الزاد

وأحبت الهرة أن تعود صغارها السعى معها فى كسب القوت ، فكانت تبرز خارج الدار وتناديهن فيتسارعن اليها ، متواثبات ، شائلات الأذناب ، مؤللات الآذان ، محدقات العيون ، فيجسن جميعاً خلال الحديقة ، فلا يعدمن صرصراً أو جرادة يتبلغن بها بعد أن يلعبن بها طويلاً

ودرجت الأيام على تلك الحال ، وكأن القطط استطبن حياة السعى ، وذقن حلاوة الرزق المجلوب بالجد ، فعدن لا يأبهن لما كنت أرفدهن به من وقت لآخر من كسرة خبز ، أو نغبة لبن ، أو عرق لحم ينهسنه ، أو عظمة يتعرقنها

* * *

غير أن صروف الأيام لا ينجو من كيدها إنسان ولا حيوان ، ولا يسلم من آفاتها من يمشى على اثنتين ، وما يدب على أربع .

فقد كنت ذات يوم جالساً فى منزلى وقت الظهيرة ، وكنت ضيق الصدر ، لقِس النفس ، كأنما أتوقع حدثاً يحدث ، أو خطباً يلم ، وإذا بى أبصر الهرة تلج من باب الدار بهيئة أنكرتها : أبصرتها تمشى متخلجة ، متخلعة ، تخالف بين يديها ورجليها ، وتقوم وتقع ، وتصطدم بما يلقاها فى طريقها ، فأثبتها النظر ، فرأيت ، وما أفظع ما رأيت ! رأيتها مشجوجة شجاً قبيحاً ؛ فأدركت من فورى أن فظاً غليظ القلب ، محمقاً من طباخى الحى قد أعنته الهرة فى طلاب العيش ، فأهوى إلى رأسها بسكينه ، فشتر إحدى عينيها ، وكاد يشطر الرأس شطراً

وأدركت أن المسكينة تحاول الوصول ، على ما بها ، الى صغارها ، فطفقت أجمعهن لها من هنا وهنا ، وما هى إلا أن أحستهن حتى تحوَّت عليهن ، ترضعهن وتمسحهن بلسانها على عادتها . فلما جن الليل جعلت أريد الهرة على الخروج من المنزل ، لعل برد هواء العشى ونسيم السحر ينفعها ، ولكنها رفعت الى رأسها وكأنها تستعفينى من الخروج ليلتها تلك ، ولأقض بعد ذلك ما أنا قاض . فنزلت على وحى حالها ودلالة منظرها ، وانصرفت الى مضجعى . فلما كان الصباح إذا بى أصحو على مواء موجع صادر من الهرة ، فأسرعت إليها فوجدتها تعالج سكرات الموت ؛ وما هى إلا لحظة حتى غدت جثة هامدة لا حراك بها . كل ذلك والقطيطات حيال ذلك المنظر الذى لم يعرفنه بعد ، مبهوتات صامتات مأخوذات . وكأنهن وقد سكنت حركة أمهن يتمثلن بالشعر الذى وضعه الشاعر الانجليزى ، بيرون ، على لسان (قابيل) عند ما رأى أخاه (هابيل) ميتاً ، ولم يكن رأى الموت قط :

أخى ! ماعراك ؟ وكنت الغداة ... ذكى الفؤاد ، قوى البدن
على العشب ملقى ، فماذا دهاك ؟ ... أنوم ، وما الوقت وقت الوسن ؟
سكنت ، وأمسك منك اللسان ... وهل مات حى إذا ما سكن ؟
ألا ما هلكت ! وإن كان فى ... شحوبك معنى يهيج الحزن(1)

نعم ! لقد كان فى تغير حال الهرة الميتة معنى هاج حزن القطط ، فقد لذن بأركان المكان واجمات ، ولو ألهمن النطق لتمثلن بقول النابغة :

من يطلب الدهر تدركه مخالبه ... والدهر بالوتر ناج غير مطلوب
ما من أناس ذوى مجد ومكرمة ... ألا يشد عليهم شدة الذيب
حتى يبيد على عمد سراتهم ... بالنافذات من النبل المصاييب

(1) كتاب (مبادئ الفلسفة) ترجمة الأستاذ أحمد أمين

إنى وجدت سهام الموت معرضة   بكل حتم من الآجال مكتوب

***

وثارت نفسى لهذا المنظر الأليم ، وذكرت قسوة الانسان على العجماوات مع أنه مستأمن عليها ، مستحفظ لها ، مسؤول عنها . وذكرت ما جاء فى صحيح الأثر من أن امرأة دخلت النار فى هرة حبستها ، فلا هى أطعمتها ، ولا هى أسقتها ، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض . وذكرت قول الرسول العربى : « إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور » ونهيه عليه السلام أصحابه عن اقتعاد الرحال فى المجالس حتى لا يعلق بها شوك يؤذى الابل عند ما توضع على ظهورها ، وقول عمر لرجل رآه يعنف بماشية يسير بها ليذبحها : « ياهذا سقها الى الموت سوقاً رفيقاً » ، وذكرت رسالة (الحيوان والانسان) التى ختم بها إخوان الصفاء رسائلهم ، وكيف ذهبوا فيها مذهباً لطيفاً فى التدليل على أن الانسان فى حقيقة الأمر حيوان من الحيوان ، لا يفضل غيره من الأنواع إلا بالعمل الصالح المنجى له فى الدنيا والآخرة . ذكرت كل ذلك فعلمت أن البون لا يزال عندنا شاسعاً بين القول والعمل ، وأن المبادئ الجميلة لا تزال الى حد بعيد مجرد حبر على ورق ، وذلك من سوء حظ الانسانية الصحيحة

أما بعد ! فلا تبعدى أيتها الهرة المظلومة ! فكأس المنية لا تبرح دائرة على الخلائق ، يشرب بها الرفيع والوضيع ؛ وسيان فى حكمها من يمشى سوياً وما يمشى مكباً على وجهه . إن الموت لعمرى واحد ، ولكن الموتات تختلف ؛ وموتتك أيتها الهرة ؛ من أشرف الموتات . لم تموتى حتف أنفك ، ولم تموتى فى مسعى باطل . لقد قضيت جاهدة ، مجاهدة ، وذهبت فى ريعان عمرك ضحية الواجب ، والسعى الصالح . إذا طالت الأعمار بأقوام رضوا بالهوان والمسكنة ، وآثروا العافية الذلة على الجهاد المشرف . نعم ، إنك لم تجدى فى هذا العالم من ينصفك ، ويطلب بثأرك ، ولكنك واجدة عند القوة الممسكة لهذا الكون خير الجزاء . ألم تدخل امرأة النار فى هرة أماتتها ظمأ وجوعاً ؟ أليس معنى أن الانسان إذا تجرد من الرحمة فهو عند الله أحط شأناً من العجماء ، وأن الله لا يستحى أن يقصها منه إذا طغى عليها وتجبر ؟ ألا كفى بذلك للنفس ، لو تعلمين ، تأساء وتعزية ما ؟

١٩٣٦/٩/٨   عبد الحميد العبادى

الجانب الصوفى
فى الفلسفة الاسلامية (١)

للدكتور ابراهيم بيومى مدكور

— ٢ —

عنى الفارابى كل العناية بموضوع السعادة علماً وعملاً ، فخصه بكتابين من كتبه شرح فيهما مختلف آرائه الصوفية ، وبين الوسائل الموصلة إلى السعادة ؛ وهذان الكتابان هما : تحصيل السعادة ، والتنبيه على السعادة ، اللذان طبعا فى حيدرآباد سنة ١٣٤٥ و ١٣٤٦ هـ ، وقد امتازا — مقرونين إلى الرسائل الفارابية الأخرى التى وصلت الينا — بغزارة مادتهما ووضوح أسلوبهما ؛ وحبذا لو فكرنا فى اعادة طبعهما بمصر . ولم يكتف الفارابى بهذه الدراسة النظرية ، بل جد فى أن يتذوق السعادة بنفسه ، وأن يصل بتفكيره وتأمله إلى مرتبة الفيض والالهام كما صنع أفلوطين من قبل . ويقال إنه حظى بذلك مرة أو مرتين

وواضح أنه ليس فى مكنة الناس جميعاً الصعود إلى مرتبة هذه السعادة ، ولا يبلغها إلا النفوس الطاهرة المقدسة التى تستطيع أن تخترق حجب الغيب وتصعد إلى عالم النور والبهجة . يقول الفارابى : « الروح القدسية لا تشغلها جهة تحت عن جهة فوق ، ولا يستغرق الحس الظاهر حسها الباطن ، وقد يتعدى تأثيرها من بدنها إلى أجسام العالم وما فيه ، وتتقبل المعلومات من الروح والملائكة بلا تعليم من الناس ، والأرواح العامية الضعيفة إذا مالت إلى الباطن غابت عن الظاهر ، وإذا مالت إلى الظاهر غابت عن الباطن ... وإذا اجتمعت من الحس الباطن إلى قوة غابت عن أخرى مثل البصر يُختَبَل بالسمع ، والخوف يَشغَل عن الشهوة ، والشهوة تشغل عن الغضب ، والفكرة تصد عن الذكر ، والتذكر يصير عن التفكر ، أما الروح القدسية فلا يشغلها شأن عن شأن » (٢)

(١) اضطرنا سفر مفاجئ إلى أوربا لقطع هذه السلسلة التى بدئت فى العدد ١٥٧ من أعداد الرسالة ، فمعذرة إلى القراء

(٢) الفارابى ، الثمرة المرضية فى بعض الرسالات الفارابية ، ص ٧٥

فالروح القدسية إذن واصلة ، ترى المغيب ، وتسمع الخفى ، وتجاوز عالم الحس إلى عالم المشاهدة الحقيقية والبهجة الدائمة . هذه هى نظرية الاتصال التى قال بها الفارابى واعتنقها الفلاسفة اللاحقون ، وقد لعبت دورا هاما بوجه خاص لدى فلاسفة الأندلس . وهى كما ترى ضرب من التصوف النظرى القائم على البحث والدراسة يقربنا إلى الله ونعيمه القيم . والتصوف فى جملته ساد العالم الاسلامى منذ زمن بعيد تحت مؤثرات كثيرة بين فارسية وهندية ومسيحية وإغريقية . وفى رأى كل متصوف أن الغرض الرئيسى من العمل والتأمل هو الاتصال أو الفناء فى الله . يقول رينان : « لم يعرف الشرق أن يقف فى العبادة عند حد المبالغة والاسراف ، بل كان الاتحاد مع العقل الكلى بوسائل خارجية حلم الطوائف الصوفية فى الهند والفرس . وهناك سبع درجات — كما يقول المتصوفة — تقود المرء إلى الغاية النهائية التى هى الفناء المطلق أو النرفانا البوذية ، حيث يصل الانسان أن يقول : أنا الله » [١] ومشكلة أنا وأنت من المشاكل الهامة فى تاريخ التصوف الاسلامى ، فأنا وهو الشخص الانسانى يعمل على أن ينمحى فى أنت وهو الله ، وما الحلول الذى قال به الحلاج والذى درسه الأستاذ ماسنيون دراسة عظيمة إلا أوضح مظهر لهذه المشكلة فى الاسلام ، فهو يتلخص فى اختفاء الانسان فى الله ، وبذا يتحد أنا وأنت اتحادا كاملاً

كان الفارابى صوفياً فى قرارة نفسه ، يعيش عيشة الزهد والتقشف ويميل إلى الوحدة والخلوة . وقد أفاض مؤرخو العرب فى وصف تقشفه وإعراضه عن الدنيا . وابن خلكان خاصة يضعه فى مصاف الزهاد والنساك [٢] . وبالرغم من أنه عاش فى بلاط سيف الدولة بن حمدان وجالس العظماء والرؤساء لم يتغير شيئاً من عوائده ولم يخرج عن زهده وتقشفه . فجليس الملوك هذا وصفى الأمراء كان يرى فى أغلب الأحيان بالقرب من الطبيعة يناجيها ويستكشفها أسرارها ويستملها ما حوت من عظات . وقد رووا أنه كتب الكثير من كتبه على شواطىء المجارى

(١) Renan, Averroès, p. p. 144—145.

(٢) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، طبعة بولاق ، ج ٢ ص ١٠٢

المائية وبين الثمار والأزهار [١] . فهذا الاستعداد الفطرى الذى نشأ عليه ، وهذه النزعة الصوفية التى تمكنت منه ، أثرت من غير شك فى آرائه وأفكاره ، وكانت عاملاً فى تكوين نظرية السعادة الفارابيـة . وأسلوب الفارابى نفسه يتفق مع هذا الاستعداد ويتلاءم مع هذه النزعة ؛ فهو إلى الغموض أميل ، وفى باب التعمق والتركيز أدخل [٢] . وهـذا شأن الصوفية جميعاً يرسلون الجمل المختصرة المعماة . وكثيراً ما عانى المستشرقون صعوبات فى تفهم عبارات الفارابى وإدراك كنهها ، وشكوا من غموضها وتعقدها [٣]

ويجب أن نضم إلى هذا المؤثر الداخلى عاملاً آخر خارجيا ، ألا وهو الوسط الذى عاش فيه أبو نصر ، فقد تفشت فى العالم الاسلامى لعهده أفكار صوفية كثيرة صادرة عن أصل هندى أو فارسى أو إغريقى أو مسيحى . ولا يستطيع أحد أن ينكر تأثره بهذه الأفكار ، وفى كتاباته ما ينهض دليلاً على ذلك . فقد جارى المتصوفة وشرح لنا المراتب التى يمر بها من يرغب فى السعادة . والمرتبة الأولى فى رأيه هى مرتبة الارادة ، وتتلخص فى شوق زائد ورغبة أكيـدة فى تنمية المعلومات واكتساب الحقائق الخالدة . فان كانت هذه الرغبة مؤسسة على دوافع حسية أو خيالية فهى مجرد إرادة ، وإن قامت على التفكير والتأمل فهى اختيار حقيقى . وبعد الاختيار تجىء السعادة التى تحدثنا عنها من قبل [٤] . فهذا التدرج فى جملته يشبه من بعض الوجوه منازل الصوفية

وفوق هذا فقد عاصر الفارابى كبار الصوفية الذين يقولون بالحلول ، وعلى رأسهم الجنيد المتوفى سـنة ٩١١ ميلادية وناشر نظرية الاتحاد الصوفية ومردد الجملة المأثورة : اللهم مهما عذبتنى بشىء فلا تعذبنى بذل الحجاب » [٥] . ويروى أن الشبلى دخل عليـه يوماً وبحضرته زوجه ، فأرادت أن تحتجب ، ولـكنه أبى عليها ذلك قائلاً : لا خبر للشبلى عندك . ولم يكد الأخير يسمع هذه الكلمة حتى بكى . فقال الجنيد لزوجه على الأثر : استترى

(١) المصدر نفسه

(٢) I. Madkour, La Place d'al Fârâbî, pp. 15 — 16.

(٣) Carra de Vaux, Encye-de l'Islam, II p. 58-;Massignon Archives d'hist., IV, p. 158.

(٤) الفارابى ، آراء أهل المدينة الفاضلة ، ص ٤٥ — ٤٦

(٥) Massignon, Essai, pp, 274-75.

فقد أفاق الشبلي من غيبته[1]. والحلاج تلميذ الجنيد من معاصري الفارابي كذلك ، فقد توفي سـنة ٩٢٢ للميلاد . وهو صاحب الجملة المشهورة : (أنا الحق) التي لاقى من جرائها حتفه . وعلى يديه سما مذهب الحلول إلى أوجه وبدا في أوضح صوره ، وتم الاتحاد الكامل بين أنا وأنت . وأشعار هذا العصر الصوفية مملوءة بالغيبة والحضور ، والوجد والوجود ، والنسيان والذكر . يقول بعضهم :

وجودي أن أغيب عن الوجود بما يبدو على من الشهود

ويقول الآخر :

عجبت لمن يقول ذكرت ربي فهل أنسى فأذكر ما نسيت
شربت الحب كأساً بعد كأس فما نفد الشراب ولا رويت[2]

وربما يبدو بعد الذي تقدم أنا ميالون إلى أن نعقد صلة بين تصوف الحلاج وتصوف الفارابي ، وأن نثبت أن آراء أوائل المتصوفة قد أثرت تأثيراً مباشراً في أفكار فلاسفة الاسلام الصوفية ، ولكنا نسلم بذلك من ناحية النزعة والتوجيه العام فقط ، أما من جهة النظريات في تكوينها وتفاصيلها فانا نرفضه للأسباب الآتية :

أولاً : تصوف الفارابي نظري مبني على الدراسة والبحث قبل كل شيء . فبالعلم ، والعلم وحده ، تقريباً نصل إلى السعادة . أما العمل ففي المرتبة الثانيـة ومهمته ثانوية للغاية . على عكس هذا يقرر الصوفية أن التقشف والحرمان من اللذات الجسمية وتعذيب الجسم هو الوسيلة الناجعة للاتحاد بالله . يقول الجنيد : « ما أخذنا التصوف عن القيل والقال ، لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات[3] »

ثانياً : — وهذا فرق جوهري — الاتصال الذي يقول به الفارابي مجرد سمو إلى العالم العلوي وارتباط بين الانسان والعقل الفعال دون أن يمتزج أحدهما بالآخر . أما المتصوفة فينظمون من العبد والرب وحدة غير منفصلة ، ويقولون بحلول اللاهوت في الناسوت . وعلى هذا يتلاشى أنا في أنت تماماً ولا يتميز الخلق من الخالق . وهـذا هو سر حملة أهل السنة على هذا الخلط غير المقبول والغلو المفرط . حقاً إن الفارابي يذهب في فقرة واحدة غريبة إلى أن الانسان حين يصل إلى درجة السعادة يحل فيه العقل الفعال[1]. غير أنه لا يمكن أن يقبل هـذا التعبير على علاته ويجب أن يحمل حملاً مجازياً . فان صاحبه يلاحظ غير مرة أن العقل المستفاد وهو أسمى درجات الكمال الانساني يختلف في طبيعته ووظيفته ومرتبته عن العقل الفعال . ويرى الفارابي فوق هـذا أن الموجودات في تدرجها مكونة من طبقات بعضها فوق بعض ؛ والله مثال الكمال المطلق ، وبينه وبين الانسان والعالم الأرضي كله فواصل متعددة[2] . فنظريات الفارابي الميتافيزيقية والفلكية المختلفة لا تسمح بأن يتحد الخلق مع الخالق أو أن يمتزج العقل الانساني بالعقل الفعال

وأخيراً على كلمة اتحاد واتصال تؤذنان بالفرق الواضح بين نظرية الحلول الحلاجية ونظرية السعادة الفارابية ؛ فان الكلمة الأولى التي تنصرف عادة إلى نظرية المتصوفة تدل على الاندماج التام بين المخلوق والخالق ، في حين أن الكلمة الثانية التي تطلق على نظرية الفلاسـفة تشعر فقط بمجرد علاقة بين الانسان والعالم الروحي

فالواجب علينا إذن أن نبحث عن منبع آخر يمكن أن تكون نظرية السعادة الفارابية في جملتها قد استقيت منه . وإذا شئنا تعرف هذا المنبع وجب علينا أن نصعد إلى أرسطو وإلى كتابه الأخلاق النيقوماخية بوجه خاص . يقول جلسون : « ليس ثمت فكرة ولا عبارة لدى أرسطو لم تنظر ولم ينتفع بها شراحه . وهذه الملاحظة صادقة على العموم في كل المشاكل التي درسها وخاصة في مشكلة العقل »[3]. ونظرية الاتصال التي نحن بصددها تؤيد هذه الملاحظة تمام التأييد ، فانها مأخوذة نصاً عن أصل أرسطي ؛ وذلك أن أرسطو في شرحه للخير الأسمى يقول في الكتاب العاشر من الأخلاق النيقوماخية إنه فضيلة تتكون في الوحدة وبالتأمل العقلي وتخالف الفضائل الانسانية الأخرى المتعلقة بالجسم . هو قوة تأملية تكتفي بنفسها وتدرك الحق المطلق ، وفضيلة عليا لأنه يتصل بأسمى شيء في الانسان وهو العقل . وباختصار هو

(١) القشيري الرسالة القشيرية ، ص ٤٠
(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٧ ، ٤٣
(٣) Massignon, Recueil, p. 189.

(١) الفارابي ، آراء أهل المدينة الفاضلة ، ص ٥٨
(٢) الفارابي ، آراء أهل المدينة الفاضلة ، ص ١٧
(٣) Gilson, Archives, IV, pp. 5-6.

فضيلة الفضائل لأنه يصدق على الجانب القدسي حقيقة في الانسان [1]. ليس هناك شك في أن هذه الفقرات أساس لنظرية الفارابي في السعادة والاتصال . ففي رأيه ، كما في رأى أرسطو ، الحياة العقلية غاية في نفسها . ومتى جد الانسان في الدراسة والنظر والبحث والتفكير تشبه بالله والعقول المفارقة التي هي إدراك مستمر وتأمل دائم . ومتى انقطع الانسان إلى هذا المجهود النظرى اقترب من الكائنات العلوية ، وفاز بسعادة ليست وراءها سعادة . فأرسطو الواقعي مصدر الجانب الصوفي في الفلسفة الاسلامية ، و« الأديمونيا [2] » الأرسطية عماد لنظرية السعادة الفارابية . وإذا تتبعنا كل ما وصل إلينا من كتب أرسطو لم نجد فيه إلا نصين اثنين يشعران بروح خفية وينزعان نزعة صوفية . وهما ما أشرنا إليه آنفاً في كتاب الأخلاق النيقوماخية وما جاء في كتاب النفس خاصاً بوظيفة العقل الفعال وأثره في تكوين المعلومات العامة [3]. وكلا النصين أثر تأثيراً عميقاً في فلاسفة الاسلام وآرائهم الصوفية والنفسية . حقاً إن الفارابي ضنين بأسراره ولا يحب أن يقف قراءه على مصادر أفكاره ؛ بيد أن عباراته تكفي للبرهنة على ما ذهبنا إليه . وابن رشد الذي يعتنق نظرية الفارابي في الاتصال يقول لنا إن هذه النظرية جواب على سؤال وجهه أرسطو ولم يجب عليه [4]. فبعد أن وضح كيف يدرك « النوس » أو العقل الحقائق المجردة قال : « سنرى فيما بعد إذا كان في مقدور العقل الانساني — ولو أنه غير مفارق — أن يدرك أشياء مفارقة بذاتها » [5]. ولما لم يف أرسطو بوعده أخذ فلاسفة الاسلام على عاتقهم أن يتلافوا هذا النقص ويجيبوا على هذا السؤال

غير أن أرسطو وحده لا يكفي في توضيح نظريات الفارابي التصوفية ؛ ذلك لأن بينه وبين الفيلسوف العربي مدرسة الاسكندرية التي أثرت كذلك في فلاسفة الاسلام عامة وعلى رأسهم

(١) Aristote, Ethique, a Nic. L. X, ch. VII,VIII.- انظر أيضاً الترجمة العربية للطفى باشا السيد ، ج ٢ ص ٣٤٩ — ٣٦٢

(٢) كلمة يونانية معناها السعادة ، وقد أطلقها أرسطو على نظرية الخير الأسمى ، وفي هذا ما يبين الصلة بين هذه النظرية ونظرية السعادة الفارابية

(٣) Aristote, de Anima, L.III.

(٤) Renan, Averroes, p. 184.

(٥) Aristote de Anima, L. III, ch. VII, 88.

الفارابي . والاتصال الذي يقول به الفارابي لا يختلف كثيراً عن « الاكستاسيس » أو الجذب الذي قالت به مدرسة الاسكندرية . فالاثنان يستمدان على التأمل والنظر وينتجان هياماً وغبطة تخرج بنا من عالم الحس والمادة إلى نور الحقيقة واليقين . نعم إنه يصعب علينا أن نحلل هاتين الظاهرتين تحليلاً نفسياً دقيقاً ، ولكنا نستطيع أن نلاحظ أنهما يمثلان أسمى أعمال العقل الانساني التي ترمى إلى الخير الأعلى . ومتى وصل المرء إلى مرتبتهما أحس بسعادة تجل عن الوصف وغبطة لا نهاية لها . وفي عبارات الفارابي ما يعلن عن الأصل الاسكندري الذي اعتمد عليه والذي لا يمكن أن يكون شيئاً آخر سوى كتاب الربوبية . ولنكتف بتقديم نص واحد من كل طرف يشهد بذلك . يقول الفارابي : « إن لك منك غطاء فضلاً عن لباسك من البدن ، فاجتهد أن ترفع الحجاب وتتجرد ، وحينئذ تلحق . فلا تسل عما تباشره ، فان ألمت فويل لك ، وإن سلمت فطوبى لك . وأنت في بدنك تكون كأنك لست في بدنك ، وكأنك في صقع الملكوت ، فترى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . فاتخذ لك عند الحق عهداً ، إلى أن تأتيه فرداً [1] » . ويقول صاحب كتاب الربوبية أو أثولوجيا : « ربما خلوت أحياناً بنفسي وخلعت بدني فصرت كأني جوهر مجرد بلا جسم . فأكون داخلاً في ذاتي وراجعاً إليها وخارجاً من سائر الأشياء سواى ، وأكون العلم والعالم والمعلوم جميعاً . وأرى في ذاتي من الحسن والبهاء ما أبقى معه متعجباً ، وأعلم عند ذلك أني من العالم الشريف جزء صغير . وحين أوقن بذلك أرقى بذهني إلى العالم الآلهي ، ويخيل إلى كأني قطعة منه . فعند ذلك يلمع لى من النور والبهاء ما تكل الألسن عن وصفه والآذان عن سمعه . ومن الغريب أني أشعر بأن روحي مملوءة بالنور مع أنها لم تفارق البدن [2] » . هذان النصان من غير تعليق ناطقان بالقرابة القربى والعلاقة الوثيقة بين الجذب الذي دعا اليه رجال مدرسة الاسكندرية ، والاتصال الذي جد في طلبه الفارابي . وكتاب الربوبية هو المرآة التي عكست كثيراً من آراء أفلوطين وأتباعه على العالم الاسلامي

(يتبع)

إبراهيم بيومي مدكور

(١) الفارابي ، الثمرة المرضية ، ص ٧١ .

(٢) كتاب الربوبية ، ص ٨ — والفارابي نفسه يستشهد بهذا النص ويسوقه مع شيء من التحريف في رسالة الجمع بين رأيي الحكيمين ، ص ٣١

العـــودة

للأستاذ محمد عبد الله عنان

ها نحن أولاء نعود الى الوطن بعد طول الغيبة والتجوال؛ نعود إليه بقلوب تخفق ابتهاجاً بالعود، كما غادرناه بقلوب تخفق ابتهاجاً للسفر واستقبال أسابيع نخالها دائماً تفيض متاعاً للنفس واستجماماً للجسم وانتعاشاً للروح المضنى

ولكن السفر لا يحقق دائماً ذلك الأمل؛ ففى كثير من الأحيان يغدو التجوال مشقة وضنى؛ ذلك أن الذهن المضطرم يذكيه الجديد فى كل لحظة فلا يفتأ يطلب المزيد من المناظر والصور، والمشاعر الحساسة تجد دائماً ما يثيرها فى تلك الآفاق الاجتماعية الجديدة التى تلامسها فى كل خطوة؛ وشغف الملاحظة يحفز دائماً الى المعرفة والبحث؛ وإذا كان فى ذلك متاع للعقل والروح، ففيه دائماً ضنى للجسم والقوى

على أن السياحة نزهة العصر؛ ولقد كانت السياحة فيما مضى مشقة ومخاطرة؛ وإنه ليحضرنا ونحن نكتب هذه السطور، ونخترق العباب المتلاطم، فى بهو أنيق وثير من أبهاء «الكوثر» وصف المقرى مؤرخ الأندلس لرحلته من المغرب الى الاسكندرية فى نفس المياه، وما يصوره لنا من روعة البحر وأهواله، فنذكر كيف استطاعت العبقرية البشرية أن تذلل الموج المروع، وأن تسير فوقه المدن الأنيقة السابحة آمنة مطمئنة، وأن تجعل من اختراق العباب المضطرم آية النزه والمسرات

ولقد شاد الشعراء والكتاب من قبل بمزايا السياحة ومتاعها على ما كان يحفها فى تلك العصور من المشاق والمخاطر؛ ذلك أن للجديد دائماً سحرا لا يقاوم، والنفس البشرية مفطورة على حب الاطلاع واكتشاف المجهول؛ وقد كانت بلاد العالم يومئذ مجاهل بعضها بالنسبة لبعض، فكان السفر اكتشافا لآفاق ومجتمعات مجهولة؛ أما اليوم فقد اختفى المجهول من العالم المتمدن، ولكن بقى الجديد يجذبنا سحره دائماً الى عوالم ومجتمعات مختلفة نأنس فى اكتشافها ودراستها لذة ومتاعاً للعين والنفس والروح

وقد يستغرق التجوال فى تلك العوالم والمجتمعات الجديدة كل حواسك وأفكارك؛ ولكنه مهما أفاض عليك من البهجة والسحر، لا يستطيع أن يخمد فى نفسك نزعة الحنين الى الوطن وما تزال ذكرى الوطن تمثل فى ذهنك فى كل خطوة، أحياناً مقرونة بالزهو، وأحياناً بالأسف، وفقاً لمختلف الظروف والأحوال؛ وما تزال شبح العود الذى لا يفارقك منذ اليوم الذى تغادر فيه الوطن يلوح لك، ويقوى كلما ضعف سحر التجوال، حتى يحل دور السأم؛ وعندئذ يجذبك الوطن إليه بكل ما فيه من تأثير وسحر، ويغدو العود سعادة تسارع الى اجتنائها

وها نحن نعود الى الوطن سعداء بالعود

***

ولقد غادرنا الوطن فى ظروف دقيقة تبحث فيها قضيته، وتعالج مصايره على يد زعمائه الأوفياء، فكنا خلال الرحلة نتطلع إلى أنباء المفاوضات المصرية الانكليزية ونتلقفها حيث كنا وأنى استطعنا؛ وكانت الصحف والأنباء الأوروبية ضنينة بها كل الضن فلا تنشر عنها إلا كلمات يسيرة؛ وكانت الصحف الانكليزية بالطبع أكثر تحدثاً عنها؛ وكنا كلما شعرنا خلال السطور بأن أزمة تعترض المفاوضات زدنا لهفة وقلقاً؛ فلما جاءت الأنباء بأن الأزمات كلها قد ذللت، وبأن المعاهدة قد وقعت بالحروف الأولى، وبأن وفد مصر سيمثل إلى لندن، هللنا وكبرنا، وفاضت نفوسنا أملاً واستبشاراً؛ ولما جاء يوم الأربعاء السادس والعشرين من أغسطس، وهو اليوم الذى حدد لتوقيع المعاهدة لبثنا — ونحن فى فينا — ننتظر النبأ الخطير بفارغ الصبر، وكان الراديو أسبق المصادر إلى إذاعته فى مساء نفس اليوم؛ وفى صباح اليوم التالى ظهرت الصحف النمسوية وفى صدرها نبأ توقيع المعاهدة، ووصف موجز للعبارات التى تبادلها زعيم الأمة المصرية ومستر إيدن وزير الخارجية الانكليزية؛ ثم توالت الأنباء بعد ذلك عن استقبال مصر للحادث المشهود، واحتفائها به احتفاء يتفق مع عظمته وخطورته، فكان أكبر أسفنا أننا لم نكن بمصر فى تلك الأيام التاريخية لنشهد بأعيننا ذلك المنظر الرائع: منظر أمة تستقبل وثيقة تحريرها وتعلن ابتهاجها بما

جنت من ثمار جهاد طويل شاق

ومن غرائب الاتفاق أن تكون نفس الفترة التي تمت فيها المفاوضات بين مصر وانكلترا ووقعت معاهدة الصداقة المصرية الانكليزية ، أعنى ما بين يولية وأغسطس هي نفس الفترة التي شهدت فيها مصر ضياع استقلالها وحرياتها منذ أربعة وخمسين عاماً

الله أكبر ! لقد دخلت مصر في عهد جديد وافتتحت صفحة جديدة من تاريخها

فرعى الله مصر في عهدها الجديد ، ووفقها على يد زعمائها وقادتها الأوفياء الى تحقيق ما تطمح إليه من عظمة وسعود

* * *

وحان وقت الرحيل بعد أيام ، واستحكم حنين العود ، فكان التردد على مكاتب السفر والتحرى عن المواعيد وعن مختلف الطرق ، وكانت أزمة الأمكنة في البواخر من أي الثغور دليلاً على اضطرام حمى العود ؛ وإنك لتأنس في هذه الفترة التي تهيأ فيها اجراءات العود ، والتي تقوم فيها بآخر جولة في المدينة وفي منتدياتها شعوراً غريباً من الأسف والارتياح معاً . أما الأسف فلاختتام فترة من الرياضة النفسية والعقلية قلما نظفر بها في مصر . وأما الارتياح فلاختتام فترة من التجوال المهظ والوحشة ؛ ذلك لأن السياحة مازالت ترفاً غالياً برغم ما تقدمه بعض الدول لتذليلها من التسهيلات في مسائل العملة والسكك الحديدية ؛ وقد ذهبت ألمانيا وإيطاليا في ذلك الى حدود مغرية حقاً ، ولكنك ما تكاد تزور ألمانيا أو إيطاليا حتى تشعر بأن هذه التسهيلات لا تعد شيئاً مذكوراً بالنسبة لما تعانيه من غلاء فادح في كل شيء ؛ وليس من المبالغة أن نقول إن نفقات المعيشة في أوروبا وبخاصة في فرنسا وسويسرا ، تبلغ على الأقل مثليها في مصر ؛ ولقد قيل مراراً إن مصر لا تقدم شيئاً لتسهيل السياحة ، وإنها يجب أن تجارى الدول الأخرى في تنظيم بعض تسهيلات مغرية للسياح ؛ ولكن من المحقق أن تكاليف السياحة في مصر هي أرخص منها في أي بلد من بلاد العالم ، ويكفي أن تتقدم مصر بهذه الميزة للسائحين

هذا وليس من ريب في أنه مهما كانت مسرات السياحة ومغرياتها فان السائح يشعر في بلاد الغربة بنوع من الوحشة يمروه من آن لآخر ، فاذا حان أوان العود شعر بنوع من الارتياح للتخلص من هذه الوحشة واستعادة الايناس في الوطن والأهل

* * *

ودعنا العاصمة النمسوية في صمت ، وتزودنا بالنظرات الأخيرة من هاتيك الربوع والمغاهد الضاحكة ، وازدلفنا إلى محطة الجنوب لنستقل القطار إلى « جنوة » حيث نستطيع اللحاق « بالكوثر » وكانت الشمس قد آذنت بالمغيب حين مررنا بجبال الالب قبالة « زيمرنج » ، وهنالك تاخذك الطبيعة بجمالها الرائع ، وتمتد الأشجار والأزهار على الربى إلى مالا تدرك العين

وفي ضحى اليوم التالي كنا في البندقية نتجول في ساحة سان ماركو ، ونطوف بكنيسة سان ماركو وقصر الدوجات ونقطع « قنطرة الزفرات » ما بين القصر والسجن ، ونتأمل هاتيك المعاهد والآثار التي تذكرنا بصفحة من أروع صحف العصور الوسطى

ولقد شعرنا حين هبطنا البندقية أن يد التجديد قد صقلتها وأسبغت عليها مسحة من البهاء لم تكن لها من قبل ، ووصلت كثيراً من أحيائها وطرقاتها المائية باليابسة ، وكان عهدنا بها أنك لا تستطيع التنقل فيها إلا « بالجندولا » ، فاذا بك اليوم تستطيع أن تقطعها سيراً من المحطة إلى الميدان — ثم إلى أنحاء كثيرة منها ؛ وإنك لتشهد اليوم هذا التجديد أينما حللت في إيطاليا ؛ وتلك آثار الفاشستية بلا ريب ، وآثار تلك الروح الانشائية التي تنفث إلى إيطاليا حياة جديدة في كل شيء

وأخيراً انتهينا مساء إلى جنوة ؛ وفي ضحى اليوم التالي ازدلفنا إلى الميناء فرحين باستقبال أول قطعة من أرض مصر ؛ أجل هاهي ذي الكوثر تقف باسمة في ركن من خليج جنوة الكبير ، وهاهو ذا العلم المصري الأخضر يخفق على ساريتها ؛ وإنه لمنظر يبعث إلى الفخر والزهو أن ترى سفناً مصرية صميمة تشق عباب هذه المياه ؛ ولقد كان لمصر مدى العصور الوسطى بحرية عظيمة تجوس خلال هذا البحر ، وكانت سفنها التجارية كثيراً ما تمثل إلى البندقية وسرقوسة وجنوه ، وكان للربابنة والبحارة السكندريين في تلك

بين عالمين

مصر ...

شهد الخلائق إنها لنجيبة
بدليل من ولدت من النجباء

لفقيه الشيعة الأكبر

الأستاذ محمد الحسين آل كاشف الغطاء

غير مجازف كثيراً — لو قال قائل — ليست مصر وليدة الأزمان وبنت الدهر، ونسيلة الأحقاب، بل هي أم الزمان ووالدة الدهر، وجدة الليالي والأيام؛ كما أن ما نرى لها اليوم من الحضارة الزاهرة، والثقافة الباهرة، ليس بالأمر الحديث، ولا الشيء المستطرف؛ وتقدمها في العلوم والصنائع والمعارف والفنون يكاد يتصل تاريخه بتاريخ دورة الأفلاك، ونشأة الكون ولكن لا شيء من هذا أريد، ولا إياه أعني بالبيان؛ وإنما أريد بهذه الكلمة التمهيدية أن أقول: إن الفقه الاسلامي وأحكام الشريعة الاسلامية قد تحورت عن وضعها القديم ونشأتها الأولى فأصبحت (ولا سيما في القرون المتوسطة) كعقد الجمان المتلألئ، ولكن قد طمرته الأتربة وغمرته الأقذاء والأقذار حتى حجبت جماله، ولم يستبن منه سوى بصيص من اللمعان ينبئ العارف عن كنز دفين، وجوهر ثمين؛ وما كانت صحاح أحكام هذه الشريعة المقدسة توجد إلا عند رجالات من فرق المسلمين أو عند بعض طوائف منهم، ولكن لا صوت لهم ولا صيت، ولا تعرفهم أمم العالم من شرق أو غرب، وإنما كان مراجع الاسلام الذين تؤخذ منهم الأحكام هم أولئك الخشب المسندة والهياكل المفخمة التي لها بزتها الخاصة وشاراتها المعينة، الذين تنصبهم السلطات الزمنية لسياستهم حسب تلك الظروف بأسماء مصطلحة كما يقال (شيخ الاسلام) و (أمين الفتوى) و (مفتي الحنفية) و (مفتي الشافعية) وهكذا وهلم جراً الى ما شاء الله

وكانت الشريعة الإسلامية تضج الى الله وإلى العلماء الأصحاء في تطهيرها من تلك الأوضار وفكها من تلك القيود والأغلال

وبقي الحال على هذه الكوارث لا يزداد الأمر على تمادي الأيام ومرور القرون إلا شدة في العمى ورسوخاً في الجهل، وضياعاً للحقائق، وتكاثفاً في الحجب على محيا الشريعة الغراء، مثل تكاثف الغيوم السوداء على جبين الشمس. ويعرف كل ذي لب: أن (مصر) قد سبقت الأقطار العربية في كثير من أسباب الحضارة، فدخلت قبلها في أكثر أبواب الثقافة، ولها فضيلة السبق الى التطور الحديث والأنظمة الجديدة — إن في الأدب أو في العلم والتعليم، أو التأليف والنشر، أو غير ذلك من من أبواب المعارف

ولكني أتنسم أن العناية قضت أن يكون لها السبق أيضاً حتى في نشر ما قبرته قرون الجهل والعصور المظلمة من الفقه الاسلامي وأحكامه الصحيحة وكشف ما تراكم على محياه من غيوم الأوهام وتحطيم تلك القيود والأغلال وطرحها عنه. وأحد شواهدي على ذلك — الكتيب الصغير، وأقول: الصغير على حد قوله:

العصور شهرة خاصة؛ وكان لمصر أسطولها الحربي والتجاري إلى ماقبل زهاء قرن فقط، ولكن صروف الزمن حرمت مصر مدى قرن من امتطاء صهوة المياه؛ والآن يستأنف التاريخ سيره، وتعود مصر فتسير سفنها في هذا العباب، وتعيد لنا النيل والكوثر سيرة غمرها النسيان دهراً؛ فعسى أن تكون النيل والكوثر نواة بحرية مصرية تجارية عظيمة تملأ جوانب هذا البحر نشاطاً، وتملأ نفوسنا غبطة وفخراً

تلك خواطر وعواطف تثيرها في النفس تلك السويعات الفريدة في حياتنا: سويعات يغمرها متاع التجوال وبهجة الجديد دائماً، ويملأها شجن البعاد أحياناً؛ على أنها ذكريات عزيزة في حياتنا نتطلع دائماً الى تجديدها. وإن العود الى الوطن ليملأ اليوم نفوسنا غبطة وسعادة خصوصاً وأننا نعود إليه في مستهل عهد جديد يجيش بآمال وأماني جديدة؛ ولكن أمل العود الى التجوال يهتف بنا في نفس الوقت لنجوز نفس المشاعر والظروف مرة أخرى ؟

(الباخرة كوثر في ١٣ سبتمبر) محمد عبد الله عنان

ان الكواكب فى علو محلها لترى صغاراً وهى غير صغار

ذاك كتاب (نظام الطلاق فى الاسلام) ، وكان مؤلفه الأستاذ العلاّمة أهدى الى نسخة منه . وبعد أن طالعته مرة أو مرتين راقنى وأعجبنى ؛ ولا أقول : أعجبنى دقة بحثه ، وبراعة تحقيقه ، ولطف أسلوبه ، واعتدال سليقته ، وان كان حائزاً على أوفر نصيب من كل ذلك ، وإنما الأمر الذى يوشك أن يكون قد تفرّد به وامتاز — هو صراحته وبسالته ومشيه على ضوء دلالة الكتاب والسنة ، وعدم مبالاته بما اصطلحوا عليــه من الاجماع الذى جعلوه آلة تخويف ومهماز تهويل ، وإن قام على خلافه الدليــل . يعرف هذه البسالة أهل هذا الفن ومن خاض لجج تلك الغمرات

كان بعض أساتيــذى العظام وقد انحصرت به فى أواخر عمره مرجعية تقليد الامامية فى سائر الأقطار ، وحاز من النفوذ والاكبار — ما قلما كان يتفق لغيره من السلف — وفى الوقت نفسه كان يقول :

وددت لو أعرف سنة وفاتى حتى أعلن وأجاهر بفتاوى فى نفسى يساعد عليها الدليل ، وتخفف عن المسلمين العبء الثقيل . فكأنه رضوان الله عليــه — كان يخشى من إفشاء تلك الفتاوى حدوث الضوضاء من جهل العامة وجمود الخاصة المتسلحة بدعوى تلك الاجماعات . وكم لتلك الكلمة من الأكابر من نظائر !

فمثل — طلاق الثلاث ، وطلاق الحائض ، والحلف بالطلاق والعتاق وأمثالها من القضايا التى لم تزل من عهد قديم من المسلمات الرائجة عنــد جمهرة المسلمين ، ويُدعى اتفاق المذاهب الأربعة عليها ، فاذا نهض رجل فى هذا العصر يهدم تلك المبانى الراسخة بمعول الحجة البالغة والبرهان القاطع ، أفلا يكون شجاعاً باسلاً وعالماً نحريراً ؟

نعم طالعت الكتاب فما سنح لى موضع للملاحظة والتعليق عليه إلا فى اختياره وجوب الاشهاد فى الرجعة كوجوبه فى الطلاق ، واستغرابه من علمــاء الاماميــة الفرق بينهما ، فكتبت إليه كتاباً فى بيان الفارق بينهما من ناحيــة الدليل تارة ومن ناحية الاعتبار أخرى ، فكنت أحسبه كتاباً خصوصياً لا يتجاوز حظيرة ما بينى وبينه ؛ ولكن كأن مروءته ، وكأن شهامته ، وكأن حبه للخير وتعميم الفائدة دفعته الى نشره والتعليق عليه ؛

فما أنا ذات يوم إلا وبعض شــباب النجف من تلامذة المدارس يقول لى : إن مجلة (الرســالة الغراء) نشرت كتاباً لكم مع الجواب عليه ... وحيث أن صديقنا الأستاذ الزيات حفظه الله منذ حمل الرسالة ، وأنشأ مجلتها الزاهرة ، لم يتكرم باتحافنا بهــا كما يصنعه جملة من الصحافيين الكرام ، لذلك استعلمنا من ذلك الشاب مظانها ، فذكر المكتبة العامة الحكوميــة فى النجف الأشرف ، فأوعزنا الى إدارتها فأرسلت إلينا عددى ١٥٧ و١٥٩ فقط ؛ نظرت فيهما المقالين نظرة خفيفة ثم استرجعتهما الادارة عملاً بقانونها ، ولكن بعض أبناء أعيان النجفيين الذين فى بغداد أرسل الى عفواً من غير طلب الأعداد الثلاثة ، فوجدت بعد إعادة النظر فيها ان الأستاذ السابق الذكر قد أسهب فى الجواب عما قدمنا إليه فى الكتاب . وفى الحق أنه قد استفرغ وسعه وبذل جهده وأحاط بالموضوع من جميع أطرافه شأن المجتهد الفقيه الذى يلزمه فى سبيل استنباط الحكم الشرعى استفراغ الوسع ، واستقصاء النظر ، وبذل أقصى الجهد فى تحصيل الدليــل على الفتوى من الكتاب والسنة وكلمات العلماء . وهكذا صنع الأستاذ سدده الله فيما ذهب إليه من وجوب الاشهاد على الرجعة والتقصى عما أبديناه من الفرق ، فقد حشد زمرة من كلمات الأساطين وجملة من الروايات والأحاديث التى يراها تشهد بصحة دعواه . . .

وحيث أن من سجيتى التجافى عن إطالة المناظرة وتسلسلها خوفاً من أن يؤدى ذلك الى الجدل والمراء وحب الغلب بحق أو باطل ، وإذا أبديت رأيى فى موضوع فلست بملتزم أن يقبله كل أحد ، ولا يلزمنى أن أدفع كل مايقال عليه ، وإنما على أن أحتج وأقول ، ولغيرى حرية الاختيار فى الرد أو القبول . ولذلك لا أريد هنا أن أتعقب كل جملة مما ذكره الأستاذ بالمناقشة والمناوشة فيكون ذلك تطويلاً ولعله من غير طائل ، ولكنى أيضاً — شغفاً بنشد العلم وتعميم الفائدة أريد أن أؤسس قاعدة أصولية فقهية ينتفع بها الفقيه والمتفقه فى مقام الاستنباط ، ويرجع كل منهما إليها عند الحيرة والارتباك ، مستفادة أيضاً من ذات الكتاب والسنة ، وهى أنه إذا قام فى الدليل الشرعى من كتاب أو ســنة احتمالان متكافئان لا يترجح أحدهما على الآخر بمرجح داخلى أو خارجى ، هنالك ينظر الفقيه أى الاحتمالين أسهل على العباد وأيسر فى مقام

العمل، فيلزم الأخذ به والفتوى على طبقه، لما ورد فى الأدلة العامة من أن الشريعة الاسلامية مبنية على الرفق والتسهيل، مثل قوله تعالى: « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » وقوله عز شأنه: « ما جعل عليكم فى الدين من حرج » وقول صاحب الشريعة: « جئتكم بالشريعة السمحاء » وقوله: « يسروا ولا تعسروا » وكثير من أمثال ذلك

ونضرب لذلك مثلاً فنقول: قوله تعالى: « وأشهدوا ذوى عدل منكم » قام فيه احتمالان: احتمال العود الى الطلاق فقط، واحتمال العود إليه والى الرجعة المشار إليها بقوله تعالى « فامساك بمعروف ». فلزوم الاشهاد فى الطلاق متيقن على كلا التقديرين، أما فى الرجعة فمحتمل لزومه ومحتمل عدمه. ولو تنازلنا مع الخصم وقلنا بتكافؤ الاحتمالين من حيث نفس الآية، وأغمضنا عما قلناه من دلالة السياق على اختصاصه بالطلاق فقط، وإن الرجعة والاشهاد كليهما من أحكام الطلاق وهما فى رتبة واحدة، فلو كان الاشهاد واجباً فى الرجعة أيضاً للزم أن يكون ما هو فى رتبة الشىء متأخراً عن ذلك الشىء ضرورة تأخر الحكم عن الموضوع، فيكون الشىء متقدماً ومتأخراً — حكما وموضوعاً — وهذا خلف وإحالة، وتناقض فى الدلالة. ولكن أغمضنا عن ذلك كله وقلنا بتكافؤ الاحتمالين، فاللازم بحكم تلك القاعدة الأخذ بأسهلهما وأقلهما كلفة وهو عدم لزوم الاشهاد. وقد تقرر فى فن الأصول أيضاً أنه إذا تعارضت الأدلة أو تزاحمت الاحتمالات فالمرجع الذى يستراح اليه هو الأصل المقرر فى ذلك المورد. ولا ريب أن الأصل فى المورد هو عدم الوجوب وعدم اللزوم، ويعضد ذلك ما يزيح العلة ويقطع دابر الشكوك والأوهام. ذاك ما ورد فى أخبار أهل البيت سلام الله عليهم مثل ما فى صحيحة محمد بن مسلم قال: سئل أبو جعفر الباقر (ع) عن رجل طلق امرأته واحدة ثم راجعها قبل أن تنقضى عدتها ولم يشهد على رجعتها، قال: هى امرأته مالم تنقض العدة. وقد كان ينبغى له أن يشهد على رجعتها. وإن كان جهل ذلك فليشهد حين علم. ولا أرى بالذى صنع بأساً، وإن يشهد فهو أحسن. وفى أخرى: يشهد رجلين إذا طلق وإذا رجع. فان جهل فغشيها فليشهد الآن على ما صنع وهى امرأته؛ وإن كان لم يشهد حين طلق فليس طلاقه بشىء. وفى ثالثه: الطلاق لا يكون بغير شهود، والرجعة بغير شهود رجعة، ولكن ليشهد بعد فهو أفضل. وعلى هذا النمط أخبار أخرى كثيرة صريحة فى الفرق بين الطلاق والرجعة، وأن الأول لا يصح وليس بشىء بدون الاشهاد بخلاف الثانى غايته أنه يستحب فى الرجعة الاشهاد، وهو استحباب ارشادى معلوم المصلحة وهى الحذر من الجحود وإنكار الزوج أو الزوجة مشياً مع الأغراض والأهواء التى قد تتفق لأحدهما. ومثل هذا لا يصلح أن يكون علة للوجوب، فان الالزامات الشرعية وجوباً أو تحريماً إنما هى لأحداث الدواعى إلى فعل الواجب واجتناب الحرام. فاذا كانت الدواعى فى الغالب حاصلة فى النفوس فلا مقتضى للالزام. ألا ترى أن الله سبحانه قال فى كتابه الكريم: « وأشهدوا إذا تبايعتم » ولكن الفقهاء من الفريقين اتفقوا على الظاهر، على أن الأمر هنا للاستحباب وأنه ارشادى محض، لأن الدواعى للاشهاد ولاسيما فى الأموال الخطيرة كالعقار والضياع وأمثالها متوفرة عتيدة، فلا حاجة إلى الزام الشارع به بعد أن كانت الناس مندفعة اليه بأنفسها حرصاً على الضبط واستعداداً للطوارىء من جحود وإنكار. فأمر الشارع بالاشهاد إرشاد إلى أمر واقع، وتحفظ لازم، وليس معناه أن البيع باطل بدون الاشهاد، بل معناه أنك إذا تبايعت بغير إشهاد فقد غررت بنفسك، وخاطرت بمالك فلا لوم إلا عليك. وهكذا الأمر بالاشهاد فى الرجعة إذا خشى كل منهما إنكار الآخر فانه يندفع اليه طبعاً، وينساق له قسراً

والاشهاد فى الطلاق ليس لهذه الغاية فقط، وإلا لكان حاله كحال سائر العقود والايقاعات كالبيع والاجارة والصلح والعتق والوقف، فلا شىء من هذه وغيرها يجب فيه الاشهاد سوى الطلاق لحكمة هى أدق وأعمق، وهى ما أشرنا اليه فى كتابنا السابق. وكذا النكاح لا يجب الاشهاد فيه عندنا بحيث لا يصح بدونه، ولكن النفوس منساقة ومجبولة على الاشهاد فيه للضبط والاستعداد للطوارىء من ميراث وغيره. وأحسب أن هذا البيان سيكون كافياً عما أفاده الأستاذ فى ملاحظته الأخيرة إذ يقول صفحة ١٣١٩ من المقال المنشور فى (الرسالة): « وما اشترط فى صحة الرجعة إنما اشترط ضماناً لبقاء الحياة الزوجية صحيحة سالمة من إرادة العبث بها وبعداً عن مواطن الشبهات

وعن الاضرار بالمرأة عن إرادة النكول والجحد لاضاعة حقها » إلى آخر ما أفاد حفظه الله . فان هذا كله صحيح ومتين ، ولكن لا يصح بل لا يصلح أن يكون علة تبعث الشارع على الحكم بالوجوب بعد أن كانت الدواعي والبواعث متمكنة من النفوس بالاشهاد عند ملابسة الشك والخوف كما يشهدون فى النكاح والبيع مع عدم وجوبه شرعاً . . . ومصاص الحقيقة وزبدة المحض أن الكلام تارة فى صحة العمل فى حد نفسه مجرداً عن كل الملابسات والعوارض فنقول مثلاً : إن العتق يصح بقول السيد لعبده (أنت حرّ) فيصير العبد حراً بمجرد إنشاء المولى هذه الصيغة ، ولا حاجة إلى شهادة ولا كتابة ولا غيرهما ... والكلام تارة أخرى من حيث الطوارئ كعروض خصومة أو نزاع بين السيد والعبد واحتمال الجحود والانكار ، فلا إشكال فى أن الحاجة من هذه الناحية ماسة إلى الاشهاد وهو ضرورى . وكذا الكلام فى سائر الايقاعات والعقود كالبيع مع أن الكتاب المجيد أمر فيه بالاشهاد (وأشهدوا إذا تبايعتم) ولكن لم ينسب القول بوجوبه إلا إلى بعض أهل الظاهر ، وهو شاذ نادر . والخلاصة أن مقام الثبوت شيء ، ومقام الاثبات شيء آخر ؛ ونحن حيث قلنا بعدم وجوب الاشهاد فى الرجعة أردنا مقام الثبوت على حدة فى الطلاق الذى يتوقف ثبوته على الاشهاد . أما مقام الاثبات فالرجعة وغيرها سواء فى أنها محتاجة ومتوقفة على الشهادة فى الجملة (وإنما أقضى بينكم بالبينات والايمان)

وأرجو أن تكون هذه النبذة كافية فى سد باب هذه المساجلة ، وأخشى لو زاد البحث على هذا أن تدخل فى نوع المجادلة . نعم بقيت فى الطلاق قضايا مهمة كثيراً ما يقع بها الابتلاء ولم يتعرض الأستاذ أيده الله لها فى كتابه

(منها) طلاق المفقود زوجها الغائب غيبة منقطعة كما وقع الابتلاء بهذا فى الحرب العامة بكثرة . ولفقهاء الأمامية طريقة خاصة حسب الوارد عندهم من أحاديث أهل البيت (ع) فى التحرى أربع سنوات ، ومع اليأس وعدم النفقة يطلقها حاكم الشرع

(ومنها) ولى الصغير فانهم جوزوا أن يعقد له ولم يجوزوا الطلاق عنه ، وإطلاق كلماتهم يشمل حتى صورة المصلحة

(ومنها) طلاق الممتنع زوجها عن القيام بنفقتها تمرداً وعصياناً ومشاقة وإضراراً ، حاضراً كان أو مسافراً ، فانهم لم يجوزوا لحاكم الشرع طلاقها عنه تمسكا فى هذه القضايا بساق الحديث المشهور (الطلاق بيد من أخذ بالساق) وأنها ابتليت فلتصبر ، وهو عندنا محل نظر ، والجواز أقرب ، والأدلة عليه متوفرة . وقد طال المقال وضاق المقام عن ذكرها

وفى الختام — أرد على أخى وخليلى فى الله — تحيته الطيبة المباركة — بمثلها بل بأحسن منها ، داعياً له بطول العمر ومزيد التوفيق ، وأن يؤلف بين قلوبنا ، ويجمع كلمتنا على الهدى والحق فى خدمة الاسلام ، ومناصرة هذا الدين الحنيف إن شاء الله

(النجف الأشرف) محمد الحسين آل كاشف الغطاء

في الأدب المقارن

الأثر الأجنبي

في الأدبين العربي والانجليزي

للأستاذ فخري أبو السعود

تتفق اللغتان العربية والانجليزية في خروجهما من جزيرة منعزلة، وانتشارهما في امبراطوريتين مترامتين، وفي تأثر أدبيهما بهذا التوسع العظيم وبالاختلاط بالأمم الأخرى وآدابها، ولكنهما يختلفان في كيفية هذا التأثر ونواحيه ومداه، لاختلاف الظروف التي اكتنفت قيام الامبراطوريتين

فقد صحبت قيام الدولة الاسلامية ظروف أربعة كان لها أبعد الأثر في تاريخها السياسي وفي تاريخ أدبها: فهي أولاً قد قامت على أساس دعوة دينية تنتظم الأمم، وتسوي بين الناس، وتعد المؤمنين بها من مختلف الأجناس إخواناً. وهي ثانياً جاءت مبكرة غاية التبكير، ولم تنقض على تأسيس الدولة العربية الأصلية في الوطن الأصلي — جزيرة العرب — غير سنوات قلائل. وثالثاً تم تأسيسها بسرعة نادرة المثال في التاريخ نتيجة نجاح العرب الحربي الباهر، وأخيراً انبسط سلطانها على أمم تفوق العرب الفاتحين غنى وحضارة وثقافة

هذه العوامل الأربعة — بما انطوت عليه من خير وشر — كانت حاسمة في مستقبل الدولة العربية. فمساواة الاسلام بين الناس — مساواته بين العرب الفاتحين وبين الأعاجم المغلوبين — هيأت لهؤلاء أن ينافسوا العرب في الحكم والرياسة وكافة أسباب الحياة. وقيام الامبراطورية مبكرة قبل أن تتوطد الدولة في وطنها الأصلي من جهة جعل قبضة الوطن الأول على ممتلكاته واهية سرعان ما انحلت، وانفصلت جزيرة العرب أو كادت عن بقية الامبراطورية وعادت إلى ركودها الأول، وخرجت منها عاصمة الحكم؛ ومن جهة أخرى جعل الحكم الفردي المطلق هو النظام الوحيد القادر على إدارة تلك الاصقاع المترامية، فأهملت الشورى التي حض عليها الاسلام، والتي كانت مرعية قبل أن تمتد أطراف الدولة وتخرج العاصمة من الجزيرة. وسرعة تأسيس الأمبراطورية غمر الفاتحين بطوفان من الثروة نشر الترف والفساد نشراً يزري بكل ما عرفته رومة عقب فتوحها شرقاً وغرباً. وامتداد سلطان العرب على أمم تفوقهم حضارة وثقافة جعل من الحتم استعانتهم بأبناء تلك الأمم في الادارات والصناعات التي لم يكن لهم بها عهد من قبل

وقد استفاد العرب من سياسة المساواة والتسامح والعدل التي جروا عليها في إدارة امبراطوريتهم أن انتشر دينهم ولغتهم فمحقا الأديان واللغات السابقة في معظم أملاكهم وحلا محلها. ولكن دولتهم جاءت — من جراء أربعة العوامل آنفة الذكر — شعوبية لا عربية صميمة، مستبدة الحكومة، مترفة المجتمع، متنافرة العناصر، منطوية على عناصر كثيرة من عناصر الانحلال

***

كانت الظروف التي لابست قيام الامبراطورية الانجليزية وانتشار اللغة والأدب الانجليزيين عكس هذه تماماً: فقد توطدت الدولة الانجليزية في وطنها الأول توطداً تاماً مدى قرون قبل أن تتجه إلى التوسع الخارجي؛ واقتبس الانجليز حضارة جيرانهم وثقافتهم حتى صاروا في مقدمة الأمم. فلما راحوا ينشرون سلطانهم لم يخضعوا أمماً تفوقهم مدنية كما كانت حالة العرب مع الفرس، أو حالة الرومان مع الاغريق؛ وتكامل بناء امبراطوريتهم تدريجاً مع سير الزمن وتطور الحوادث، فلم يبتلوا بسيل مفاجئ من الثروة والترف يزعزع دعائم مجتمعهم ويوهن متانة أخلاقهم، ولم يكونوا بسبيل دعوة دينية أو إنسانية تسوي بين القاهر والمقهور، بل كانوا وما يزالون يعتبرون رسالتهم إخضاع الآخرين وحكمهم لا مساواتهم بأنفسهم؛ ومن ثم ظلوا متعالين عن الأمم المغلوبة مستأثرين بالكلمة العليا دونها متحاجزين عن أفرادها في المجتمع لا يخالطونهم ولا يزاوجونهم إلا في النَّدر

لذلك كله قامت دولتهم إنجليزية صميمة، واتسق للنظام الديمقراطي أن يزداد تمكناً مع ازدياد اتساع الدولة، بعكس ما كان في حالتي العرب والرومان؛ وظل للوطن الأول في الامبراطورية الانجليزية المقام الأول، وبقيت به حاضرة الحكم التي تجمع سلطتها الأطراف وتؤثر في غيرها من أجزاء الامبراطورية أضعاف ما تتأثر بالغير

***

تلك الظروف التى صاحبت امتداد الامبراطوريتين واختلاط الأمتين بالعناصر الأجنبية كان لها جميعاً أعظم أثر فى تاريخ أدبيهما كما كان لها أثر فى تاريخها السياسى ، وهو أثر مزدوج يشمل معالجة أبناء الأمم المفتوحة لأدب الأمة الغالبة ، كما يشمل اطلاع أبناء هذه الأخيرة على آداب الأمم المقهورة ؛ وهنا أيضاً يتباين الأدبان العربى والانجليزى

فالعرب قد سمحوا للمسلم من أية أمة أن يباريهم فى معاناة أدبهم كما باراهم فى شؤون الحرب والحكم ، فما لبث الأجانب الداخلون فى العربية أن بذوا العرب فى هذا الباب بحكم قديم ثقافتهم وتليد حضارتهم كما بذوهم فى غيره ، وما لبثوا أن صار منهم أئمة الأدب العربى ، واستأثروا أو كادوا بكتابة الدواوين ووزارة الخلفاء وصلات الأمراء

ولم يكن من الخير فى شىء للأدب العربى أن يتسلط عليه أولئك الغرباء الواغلون ، وكانت لهم فيه آثار سيئة : فهم مهما تكن ثقافتهم ومهما بلغ انكبابهم على دراسة العربية غرباء بطبعهم عن الأدب واللغة والذوق الأدبى العربى وتقاليده ومراميه ، فلم يكتبوا أو ينظموا على السجية بل كانوا دائماً مقلدين متعلمين : قلدوا متقدمى العرب تظاهراً باندماجهم فى العربية ، فكانوا عنصر تقليد ومحافظة ، لا عنصر ابتداع وتجديد فى الأدب ؛ وتمحلوا فى اللفظ تظاهراً بتفقههم فى اللغة ، فأدخلوا الصنعة والبهرج والزيغ فى الأدب بدل أن يوسعوا أغراضه ويسموا بمعانيه

فَسَرَيَانُ العنصر الأجنبى الأعجمى فى الأدب هو مرجع تغلب الصنعة على الطبع فى كثير منه ، ومرجع تغلب نزعة التقليد على نزعة التجديد فى كل عصوره . وكفى بهذين داعياً الى جمود الأدب ثم تدهوره . ولا شك أنه لو بقى الأدب وقفاً على العرب الصميمين ، وظلت الكلمة العليا للعرب فى الدولة ، وظلت هذه الدولة محدودة المساحة لا تتجاوز كثيراً حدودها الطبيعية ، لجاء الأدب أقرب إلى الطبع وأحفل بمظاهر الفن وأوسع مدى وأسمى أفقاً وأطول عمراً ، ولكان له تاريخ غير الذى كان

أما الأدب الانجليزى — وسنن الانجليز التى جروا عليها فى توسعهم واتصالهم بالأمم الأخرى هى ما قدمنا — فكان أقطابه بعد قيام الامبراطورية — كما كانوا قبلها — انجليزاً أقحاحاً يعبرون عن الطبع الانجليزى والبيئة الانجليزية ، ويفقهون روح لغتهم وتراث أدبهم ، ويصدرون عن تقاليدهم المجيدة ؛ فلا غرو جاء الأدب الانجليزى طبيعياً فنياً صادق التعبير سامى المقصد بعيداً عن التكلف ثواراً على الجمود

فهذا فرق ما بين الأمتين فى الاتصال بالأجانب ؛ وهناك فرق بينهما فى الاتصال بآداب أولئك الأجانب لا يقل خطورة عن سابقه . فالعرب الذين قبلوا الأعاجم أنداداً فى دينهم ولغتهم وأدبهم ترفعوا عن آداب تلك الأمم ، ولم يروا بأنفسهم — وهم معادن البلاغة وفحول الخطابة ، ولغتهم لغة الدين والدولة والقرآن — حاجة إلى الاطلاع على آداب غيرهم ، فنظروا إلى الأدبين الفارسى واليونانى وغيرهما شزراً ، وخسروا بذلك كثيراً وضاق أفق أدبهم كثيراً لاعتزاله غيره

على حين أن الانجليز الذين ضنوا بقوميتهم وترفعوا عن سواهم من الأمم فى الحكم وفى المجتمع لم يترفعوا عن آداب تلك الأمم الجديرة بالدرس ، فانتفعوا قبل توسعهم وبعده بالآداب الايطالية والفرنسية والألمانية ، بله آداب الأمم البائدة من إغريق ورومان ؛ أوسعوا كل ذلك درساً واطلاعاً ونقلاً ، فأخصبوا أدبهم أى إخصاب ، ووسعوا أطراف لغتهم ذاتها . وعلى هذا النحو استفاد الانجليز بخير ما فى الآداب الأجنبية دون أن يفقدوا شخصيتهم فى غمار تلك الآداب ، أو يسمحوا للأثر الأجنبى أن يفسد ملكتهم الأصلية وطبعهم الخاص

فالظروف التى أحاطت باتصال العرب بغيرهم ، وتأثر أدبهم بالآداب الأجنبية ، والسنن التى استنها العرب فى معاملة الأجانب ، لم تكن خير ما يساعد الأدب العربى على النمو الصحيح والازدهار الطويل ؛ واللغة العربية المحكمة البناء ، البارعة التعبير ، الغنية الجوانب ، التى أينعت أحسن إيناع تحت سماء البادية لم يتح لها فى أرض الحضارة من يوجهون بليغ أساليبها أحسن التوجيه إلى دراسة النفس الانسانية ووصف المجتمع البشرى ، وكان رقيها العلمى فى ظل الامبراطورية الاسلامية أعظم بكثير من رقيها الأدبى

فخرى أبو السعود

عمر بن الخطاب *

للأستاذ علي الطنطاوي

« أهدى هذا الفصل إلى ... ... صاحب (الرسالة)، اعترافاً بفضله وفضل رسالته على، فانه لولا التشجيع الذى تفضل على به يوم صدر كتابى (أبو بكر الصديق) لم يؤلف هذا الكتاب » « على »

— ١ —

... فى يوم وَهِج من أيام الصيْف، قد خَدِر واشتدّ حرّه، فى الهاجرة الملتهبة، كان يسير على رَمْضاء مكّة — وقد تسعَّرت الأرض وتوقدت، واستحالت جمرة مشتعلة — رجلٌ ضَخم الجثّة مُفرط الطول، شديد الأَسْرِ، قد توشح سيفه، وأقبل مسرعاً يطأ الأرض وطأ عنيفاً، فتحسّ كأنْ قد تقلقلت تحت أقدامه، ويرمى كل شىء حوله بنظرات حادّة ينبعث منها الغضب، ويتطاير منها الشَّرَر، لا يبالى الشّمس المتّقدة، ولا الحصى المتسعّرة، ولا يحفل السَّموم الذى هبّ سخناً يلفح الوجوه، كأنه فيح جهنم ... لأنّ له غاية فهو يسعى إليها، إنه يريد أن يقتل «سيّد العالم» !

ذاك هو «عمر» الجاهليّة ... رجل يعيش فى الظلام، وراء سور التاريخ، لم يَدْنُ منه، ولم يلجْ حماه، ولم يُلْقَ عليه نوره ؛ رجل يمشى فى هذه القافلة الجاهليّة، التى تبدأ من وسط الرمال، فى قلب الصحراء، ثم تسير على الرمال، رمال الصحراء، ثم تنتهى فى الرمال، فى الصحراء... تبدأ من العدم، وتنتهى إلى العدم، قبل أن تبلغ أرض المدنيّة، أو تصل إلى حدود العمران، أو تدنو من مهاد العلم والحضارة والحياة... رجل يعيش بغير اسم، ويموت بلا ذكر !

— ٢ —

قف أيها الرّجل ! تودع من جاهليتك، إنّ عرشك فى التاريخ قد أُعِد لك لتستوى عليه، إن محمداً (صلى الله عليه وسلم) سيضع فى يدك المفتاح الذى يفتح لك أبواب (التاريخ) الذى جهلك وأنكرك، ولم يَدْرِ بك ... لتدخل حرمه، ثم تعلو فى مراقيه، ثم توغل فى ساحاته وأبهائه، حتى تصل إلى السدّة العليا، فتجلس عليها، دون الأنبياء وفوق العظماء [1] !

قف أيها الرجل ! أَلْقِ عنك هذا السلاح الذى جئت تحارب به دين الله : إنّ دين الله لا يحارب !

إرم هذا السيف الذى توشحته لتقتل محمداً، وتقضى على بدعته الجديدة، وتبيد أصحابه التسعة والثلاثين ! إن محمداً رسول الله وسيّد كل من قال : أنا إنسان، لن يقتل ! إن هذه البدعة التى كتب لها أن تغلب على العالم، وتبقى ما بقى الزمان ظافرة منصورة لن يقضى عليها. إن هؤلاء التسعة والثلاثين رجلاً سيملكون الدنيا ؛ سيصيرون أربعين ألفاً، أربعين ألف ألف، أربعمائة ألف ألف، سيصيرون هم سكان هذه الكرة ... إنهم لن يبيدهم سيفُك يا عمر !

بل سيعزّهم الله بك، ويستجيب فيك دعاء نبيّه ومصطفاه، صلى الله عليه وسلم ... فتعال ! اغمد هذا السيف. اقبض هذه اليد التى رفعتها لتضرب بها امرأة. تعال اغتسل من شركك وجهالتك وجفائك وقسوتك. إنك ستمشى إلى مشرق النور، إلى دار الأرقم فى أصل الصفا، فتشهد فيها أنه لا إلّه إلا الله، وأن محمداً رسول الله !

***

يا لسرّ الكلمة السماوية : لا إلّه إلا الله محمد رسول الله !

لقد نقلت عمر من ظلمة الجاهلية إلى نور الاسلام، ومن حضيض الخمول إلى قُنّة المجد، ومن مهامِهِ النسيان إلى صدر التاريخ .. لقد ذهب عمر الفظّ القاسى الذى كان مطية لقريش فى ظلمها وشركها وجبَروتها الزائف، فينصر الباطل على الحقّ، والشرك على التوحيد، وجاء الفاروق العادل الرؤوف الرحيم، البطل الخالد العظيم، العبقرىّ الذى أدار أربع ممالك، لقد جاء أمير المؤمنين، سيف الأسلام وعزّ الدين !

يا للعجب العجاب ! إن الرجل الذى خرج فى الهاجرة المحرقة، فى هذا اليوم العصيب، منتضياً سيفه، لا يلوى على

(*) من (الفصل الخامس) لكتاب (عمر بن الخطاب — تأليف على الطنطاوى وأخيه ناجى الطنطاوى) — تحت الطبع — تصدره قريباً (المكتبة العربية بدمشق) فى أكثر من (٦٠٠) صفحة

(١) حاشا أبا بكر أعظم العظماء بعد الأنبياء

شيء حتى يقتل محمداً ، قد رجع وهو يحب محمداً (صلى الله عليه وسلم) أكثر من أمه وأبيه والناس أجمعين !

إنها قد تعرض للمرء لحظات تبدل مجرى حياته ، ولكننا لا نعرف — ولا يكاد يعرف أحد — مثل هذه اللحظة المباركة ، التي قلبت هذا الرجل قلباً ، فارتقى مرة واحدة من بدوي منكر لا يعرفه إلا قومه ، إلى عبقري سيعرفه التاريخ بأنه قاهر كسرى وقيصر وباني الكوفة والبصرة ، وأنه أقوى وأرق وأعقل وأعدل ملوك الزمان — هذه اللحظة التي أثرت في حياة العالم فأزاحت دُولاً وأقامت دولاً ، وثلت عروشاً ، وبنت حضارات

***

أسلم الفاروق ، فليفرق بين الحق والباطل ، ولينتقل الاسلام من دين مستتر يفرّ من قريش العاتية الظالمة المستكبرة ، يختبئ في حاشية من حواشي مكة التي يصول في بطاحها الشرك ويجول ، وتقوم حول كعبتها الأصنام ، إلى دين ظاهر مجاهد ، يجابه الخصوم ، ويصمد للأعداء . لقد كان الاسلام ساكناً تحت الصفا يعمل بهدوء ، ويتكامل في الخفاء ، كما تتكامل البذرة في باطن الأرض ؛ فليخرج الغصن ولينمُ في الهواء ، وليسمُ إلى العلاء ، ليكون منه بعد ثلاثين سنة الدوحة التي تمتد فروعها من صحراء افريقيا إلى سهول خُراسان ، ومن جبال الأناضول ، إلى ساحل عُمان ...

ليعلن الاسلام (بمظاهرة) تسير في شوارع مكة على رأسها « حمزة » أسد الله و « عمر » الفاروق حتى تنتهي إلى المسجد الحرام ، فيصلي المسلمون عند الكعبة أول صلاة بجماعة ، وإمامهم إمام الأنبياء وسيد المرسلين (صلى الله عليه وسلم) ، ولتتقطع أفئدة قريش من الحنق ، وليموتوا بغيظهم . انهم لا يستطيعون أن يصنعوا شيئاً . لقد أسلم الفاروق ، وفرق الله به بين الحق والباطل ! إنها (مظاهرة) صغيرة ، لم يسر فيها الا أربعون رجلاً ، ولكنّ هؤلاء الأربعين هم الذين صنعوا الأربعمائة مليون مسلمي اليوم ، ولا يعلم إلا الله ماذا يصنعون غداً ... ولكن فيهم حمزة ، فيهم عمر العظيم ، فيهم خلاصة الانسانية ، وأفضل الانس والجنّ والملائكة ، محمد رسول الله !

إن هذه (المظاهرة) التي سار فيها أربعون شخصاً مائتي خطوة ، من الصفا الى الكعبة ، لهي أعظم (مظاهرة) عرفها التاريخ لأعظم مبدأ قام لتقرير التوحيد ، وتأييد الحق ونصرة الفضيلة ، وتحقيق المثل العليا في الحق والخير والجمال

انها تسير أبداً ، تسير في الأدمغة والقلوب ، ما بقيت أدمغة وقلوب يحفّ بها الاجلال والاكبار

— ٣ —

ولكن ماذا كان عمر لولا الاسلام ؟ هل كانت هذه العبقرية النادرة ، وهذه النفس العجيبة التي تظهر لو لم يلمسها (محمد) بيده الكريمة ويهزها ويُفِضْ عليها من نوره ؟

هل كان لعمر هذه المكانة في التاريخ وهذه المنزلة في النفوس ؟ هل كان يعيش الى هذا العصر ويؤلف فيه عشرون كتاباً ، ويبقى الى العصر الآتي ويكتب فيه ألف كتاب ؟

إن من يدقق في سيرة عمر ، ويقابل بين عمر الجاهلية — على قلة ما لدينا من أخباره — وعمر الاسلام ، ويرى كيف استحال عمر من شخص إلى شخص ، وتبدلت طبائعه وأفكاره في اللحظة التي وقف فيها أمام النبي صلى الله عليه وسلم ونطق بكلمة الشهادة وكيف ولد في تلك اللحظة ولادة جديدة وبدأ يصعد في مدارج العلاء ... إلى ذروة المجد ... إلى الجنة ، علم أن عمر مدين للاسلام بكل شيء

نعم ، قد تظهر هذه العبقرية ولو لم يتداركها الاسلام ، وتبدو آثارها ، ويصبح عمر زعيما من زعماء مكة ، يبرز ويعظم أثره في قريش ، ثم لا يتجاوز اسمه هذا الوادي الذي يمتد ستة أكيال من جرول إلى الحجون ، بعرض كيلين اثنين — أما أن يتخطى أثره الأخشبين إلى البادية ، ويقطع البادية إلى الشام والعراق ، وينفذ إلى الأجيال الآتية فشيء لم يكن لينال عمر لولا الاسلام

وماذا كانت تصنع هذه العبقرية وهي محصورة في هذا الأفق الضيّق ؟ وما كان يصنع عمر وهو يعيش في بلدة منقطعة عن العالم تائهة في لجّ من الرمال ما له آخر لا صلة لها بالبلدان العامرة إلا صلة التجارة الضعيفة ، ولا تأتيها أخبار العالم إلا رثة بالية ، ولا نبأ عندها من فلسفة يونان ، أو حكمة الهند ، أو أخبار

السياسة الدّوْلية بين فارس والروم ؟

هل ينير مصباح محبوسٌ فى صندوق مغلق ؟ أم يشتعل وحده لايدرى به أحد ، ثم يفنى زيته ، فينطفئ وحده لايعلم به إنسان ؟

أما كانت تمضى عبقرية عمر كما مضت ألوف من العبقريات دفنت حيّة فى بقعة معتزلة من بقاع الأرض ، فى قوم متأخرين ، ولم تتصل بسمع التاريخ ؟

أما إن عمر شعاعة من نور الاسلام ، ومعجزة من معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم !

— ٤ —

لما استفاق بنو قريش من الغشية التى أصابتهم عند ما أسلم عمر عادوا يكيدون للدين ، ويؤذون النبىّ والمسلمين ، والنبى (صلى عليه وسلم) ماضٍ فى دعوتهم ، صابر على أذاهم ، ينذرهم بطش الله ، ويعدهم إذاهم أسلموا ملك فارس والروم ، ويعدهم جنة عرضها السموات والأرض ، وهم ماضون فى إعراضهم ، لا يتدبرون القرآن ، ولا تخشع له قلوبهم التى هى أشد قسوة من الحجارة (وَإِنَّ مِنَ الحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأنهارُ ، وإنَّ منها لمَا يَشَّقَّقُ فيَخرُجُ مِنهُ المَاء ، وَإِنَّ مِنْهَا لمَا يَهبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ) يا لهذه القلوب التى هى أغلظ من الجبال ! (لَوْ أَنزَلْنَا هٰذا القرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ) . وهذه القلوب التى أنزل عليها القرآن لا تخشع ولا تلين !

طلعت الشمس على وادى مكة أربعة آلاف وأربعمائة وأربعا وعشرين مرّة [1] والمشهد واحد لم يتغير

نبىّ الله يدعو الناس إلى الله ، سراً وعلناً ، فرادى وجمعاً ، ليلاً ونهاراً ؛ وبنو قريش يناوئونه ويحاربونه ويؤذونه ، يلقون الشوك فى طريقه وهو ماشٍ ، ويرمون سلى الجزور على رأسه وهو ساجد ، ويُغرون به سفهاءهم وأحداثهم ، ويفتنّون فى تعذيب المسلمين ، وتخرق لهم أدمغتهم الشيطانية طرقاً فى التعذيب تقشعر لهولها الأبدان [2] ، ويقاطعون المسلمين لا يكلمونهم ولا يبايعونهم ولا يزوجونهم ، ويحصرونهم فى الشِّعب سنتين ، ثم يعدّون عدد الجريمة الكبرى ، يأتمرون بالنبى ليقتلوه ، ويضيّعوا دمه فى القبائل ، فلا يقدر عليه بنو عبد مناف

لختام الصبر على هذا ؟ أيقف هؤلاء المشركون الجاهلون من رؤوس قريش وزعماء مكة فى وجه الاسلام ، الذى ما جاء لقريش ولا للعرب ، ولا للقرن السابع الميلادى ، ولكن جاء رحمة للعالمين ، وهدى للناس أجمعين ، فى كل عصر وفى كل بادية ومصر ؟ أهؤلاء يمحون الاسلام من الأرض محواً ؟ يا للسخفاء المغرورين ! (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إلاّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ) وينصر نبيه ، ويظهر دينه (عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ)

لم يعد فى قوس الصبر مَنْزَع ، فليسر الاسلام فى طريقه — نحو أرض الشام — نحو الظلال والأعناب ، فليستقر فى الطريق ، (فى المدينة) حيناً ، ثم ليخرج من يثرب ، ليعم العالمين أيها المسلمون ... هاجروا إلى المدينة !

***

أذن النبى صلى الله عليه وسلم للمسلمين بالهجرة إلى المدينة ، فخرجوا أرسالاً مستخفين مستترين ، ينسلّون من مكة انسلالاً ، فلا تدرى بهم قريش ، إلا وهم فى المدينة على رأس الجيش الذى يسحق رؤوس الكفر فى (بدر) ، ثم يمضى إلى (فتح مكة)

لكن عمر ؟ عمر القوىّ الذى ما لان للمشركين ؛ عمر الذى أعلن إسلامه وذهب يضرب المشركين ويضربونه ، ويجد فى ذلك لذة وراحة ؛ عمر الذى حماه خاله أبو جهل ، وأجاره من أذى قريش ، فضرب وجهه بجواره وأباه ، وعاد إلى قريش يَضرب ويُضرب ، ثم لا يكون إلا غالباً ، يدفع عن نفسه ، وعن المستضعفين من المسلمين

عمر يذهب من مكة مستخفياً ؟ معاذ الله يا عمر !

تهيأ عمر للهجرة ، فتقلد سيفه ، وتنكب قوسه ، وانتضى بيده أسهما ، واختصر عنزته [1] وذهب إلى المسجد ، فاستقبل قريشاً بالسلاح الكامل ، فطاف بالبيت سبعاً ، ثم أتى المقام فصلى ، ثم وقف على الملأ من قريش ، فأعلن وحده الحرب عليهم جميعا .... فقال :

« شاهت الوجوه ! لا يرغم الله إلا هذه المعاطس ! من أراد

(١) من يوم الاثنين ٦ أغسطس ٦١٠ إلى يوم الاثنين ٢٠ سبتمبر ٦٢٢ (أى من البعثة إلى الهجرة)

(٢) لكنها لم تكن تعد شيئاً فيما ابتكره ديوان التفتيش فى أسبانيا لتعذيب المسلمين من طرق لم تخطر على بال ابليس نفسه ...

(١) عصا فى رأسها زج ، كالرمح الصغير

أن يُثكل أمّه ؛ أو يوتِم ولده ، أو يُرمل زوجته ، فليلقني وراء هذا الوادي ! »

قال علي رضي الله عنه : فما اتبعه إلا قوم من المستضعفين ، علمهم ما أرشدهم ، ثم مضى لوجهه

— ٥ —

سيقول قائل : ما لعمر يعلن هجرته ، ويمشي على رؤوس الأشهاد من صناديد قريش ، والنبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبو بكر رضي الله عنه يهاجران مستخفيين ؟ أيكون عمر أشجع من النبي ومن أبي بكر ؟

لا والله ، ما هو بأشجع منهما ، ولقد وقف عمر بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وهو بعد لم يسلم ، ولم يجيء إلا ليقتله ، فلما أمسك بتلابيبه ونتره ، سقط على الأرض ، على قدم النبي ، وهو يرتعد من هيبته صلى الله عليه وسلم . وكان الصحابة — وفيهم عمر — إذا جد الجد ، وحمي الوطيس ، ودارت رحى الحرب ، استتروا بالنبي صلى الله عليه وسلم واحتموا به . ولما كانت الردة ورمت العرب عن قوس واحدة ، وخاف الصحابة وخاف عمر ، وأرادوا المسالمة والملاينة ، قام أبو بكر وحده في وجه العالم وصارعه حتى صرعه . فكان عمر يعرفها له أبداً ... فعلام إذن هاجر عمر جهاراً نهاراً ؛ وهاجرا مستخفيين ؟

إن في الأمر لسراً ، هو غير الشجاعة والجبن ، ذلك أن القائد العام عندما ينتقل من جبهة من جبهات الحرب الى جبهة أخرى ، لا يقف في الطريق على عدو ، ولا يلقى حرباً ، وإذا رأى نفراً من الأعداء ، يستتر منهم ، وينأى عنهم ، لأنه إذا سلك سبيل الشجاعة الساذجة ، وأقبل عليهم يقاتلهم ، ضيع الجيش الذي ينتظره ، ولا يعمل إلا به ، وخسر المعركة الكبرى لينتصر على نفر من الأعداء في معركة على الهامش ، ثم إن فراره لا يعد جبناً ولا عجزاً ، وإقدامه لا يعد شجاعة ولا استبسالا

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم القائد الأكبر ، لا في حرب قريش أو هوازن — فما قريش ؟ وما هوازن ؟ ولكن في حرب الشرك والجهل والظلم ، في الحروب التي تمتد أبدا بين الحق والباطل ، فلا يدافع عن الحق قوم إلا كانوا تحت راية محمد ، فهل يدع مهمته الكبرى ، لينتشر على نفر من قريش ؟

ذلك هو سرّ الهجرة

(لم ينته الفصل) **علي الطنطاوي**

٢ - جامعة الاسكندرية *

بقلم الأديب ابراهيم جمعة

علماء الجامعة في عصرها الأول — فليتاس القوصي — زنودوتس — زيارة ميناندر الأثيني وافتتاح مسرح الاسكندرية — اكتشاف فيلون للبحر الأبيض الجنوبي — دراسة مانيتو وتيموثيوس وهيكتاتس للعقائد المصرية القديمة — اقليدس وهيروفيلوس — سوتر يكلف بالدراسة والتصنيف آخر الأمر — قيمة كتاباته — الفن — أخذ الايطاليين عن الاسكندريين

يميل الباحثون الألمان إلى نسبة هذه الجمهرة من العلماء إلى بطليموس الأول المعروف باسم بطليموس سوتر ، وهو الذي يعتبره « سسميل » صاحب الفضل الأوفى في خلق حركة فكرية أدبية علمية في الاسكندرية قام هو بحمايتها ، وترأس مجالسها ، وأصغى إلى المناقشات الشديدة الاحتدام التي خاث في بعض الأحايين من الفائدة العلمية ، فأصبحت جدلاً شخصيا لاطائل تحته

عهد بطليموس سوتر بتربية ابنه « فيلادلف » إلى عالم ذاع صيته في ذلك العصر هو فليتاس القوصي ، وهو شاعر ينسب إليه أول مجهود أدبي عرفته الاسكندرية في الشعر الرثائي ، بل أول مجهود عرفه العالم أجمع من هذا النوع من الشعر ، وهو الى هذا من أشهر علماء اللغة الاغريقية الذين صنفوا فيها ، ووضعوا لها موسوعة كبرى حوت كل مصطلحاتها

هذا وقد تابع زنودوتس البيزنطي التأليف والتصنيف في قواعد الاغريقية ، وقام بجهد يشكر في مراجعة مخلفات « هوميروس »

ويحتمل أن يكون بطليموس سوتر هو المؤسس لمسرح الاسكندرية ، وأن تكون دعوته « لميناندر الأثيني » بقصد حضور حفلة افتتاح المسرح الكبير وشهود بعض رواياته التي وضعها في أثينا تمثل في الاسكندرية ؛ وقد كانت زيارة ميناندر للاسكندرية تطويقاً لجيد الجامعة بأثمن درر العصر ، واعترافاً بالمكانة الناشئة والنجاح الظاهر الذي صحب جهود البطالسة الأوائل في توفير جو علمي من الطراز الأول لمدينتهم الجديدة

ووكل سوتر إلى أمير البحر « فيلون » أمر التجوال في البحر الأحمر قصد الوصول إلى أطرافه الجنوبية ؛ وقد وفق هذا إلى اكتشاف البحر الأحمر الجنوبي ، وكان لهذا الاكتشاف أثره في عصر بطليموس فيلادلف ومن خلفه في التجارة وفي تزويد

(*) انظر العدد ١٦١ من الرسالة

الجامعة بأبحاث عظيمة القيمة سنأتى على ذكرها فى موضعها — كما عهد سوتر أيضاً إلى هيكتاتيس الأبدرى ، ومانيثو ، وتيموثيوس أمر دراسة (الميثولوجيا) المصرية القديمة ، ابتغاء تزويد الأمبراطورية البطليموسية الناشئة بما يحتاج إليه كيانها من العقائد

* * *

والحقيقة أن كل هذه الجهود هى دون ما بلغته جامعة الاسكندرية فى هذا العصر من التفوق فى الهندسة على يد أستاذها الأكبر « اقليدس الاسكندرى » وفى التشريح على يد أستاذه الفذ « هيروفيلوس »

وإقليدس أشهر معلمى هذا العصر اطلاقا ، وهو أبو الهندسة كما يقولون ، مؤسس مذهب البحث العلمى ؛ وكتابه « الأصول » أنماط فى صميم المنطق أكثر منها موضوعات فى الرياضة ، واليه يرجع الفضل فى جعل عصر سيده بطليموس سوتر عصر تفوق رياضى عظيم الشأن ، كان ولا يزال له أثره فى تقدم العلم والعقل البشرى

وكان « هيروفيلوس » أبا للتشريح ، كما كان « أبقراط » اليونانى أبا للطب من قبل ، وبفضل هيروفيلوس سجل التاريخ لمصر السبق فى دراسة (الأمعاء) دراسة دقيقة ، وكانت الحكومة تمده بالمجرمين المقضى عليهم بعقوبة الاعدام ليجرى فيهم تجاربه — كما أمدته حظيرة الحيوان الملحقة بالمتحف بأنواع من الحيوان شرحها ودرسها واستنبط من كل ذلك طريقة علمية للتشريح ساعدت بدورها على رفع شأن الاسكندرية فى العلوم الطبية

وتآزرت جهود هذا العالم وجهود إقليدس على خلق مكانة للاسكندرية ظلت مقترنة باسم المتحف الاسكندرى حتى وقتنا هذا

* * *

ويجدر بنا أن نذكر أنه بينما كان الاسكندريون مشغوفين بمباحث العلم البحت فى الرياضة والطب وما شاكلهما ، كان الأثينيون مشغولين بدراسة الفلسفة من رواقية وأبيقورية ، أما اشتغال الاسكندرية بالفلسفة فقد جاء متأخراً حين أسس فلاسفتها مذاهبها الخاصة التى أشهرها الأفلاطونية الحديثة وسنعرض لها فى بحثنا هذا بكثير من التفصيل

* * *

كانت لبطليموس سوتر شواغل سياسية الى جانب اهتمامه كله فى رفع شأن الاسكندرية ، وأهم تلك الشواغل منافسته لديمتريوس ملك مقدونيــة ، لانتزاع السلطة البحرية على البحر الأبيض الشرقى من يده ، وما لبث حتى انتزع قبرص من الملك المقدونى وجعلها مركزاً لأسطوله ، وغدت له بهذا سيطرة غير منازعة على الميـاه الشرقية من البحر الأبيض . وكان من شواغله أيضاً رغبته الملحة فى نقل جثمان سيده «الاسكندر» الى مصر ، ابتغاء الفخر بحيازة جثمان العاهل العظيم ، ولم يهدأ لسوتر بال حتى تم له ذلك ، وبهذا خلا نهائياً من مشاغله الخارجية ، وخصص كل عنايته بعد ذلك للمكتبة والمتحف اللذين نالا من ماله وانتباهه الشىء الكبير . ومن أمره أنه شغف مع المشغوفين بالدراسة والتصنيف ؛ ومن المعروف عنه أنه وضع مصنفاً فى حروب الاسكندر الأكبر التى ساهم فيها كأحد قوادها . ويصف (أريان) مؤلَّف سوتر بأنه من أدق المراجع وأوفاها فى هذا الشأن ، ويضعه فى رأس كتب المراجع التى صدر عنها تاريخه ، وقد يكون هذا حقاً ، كما قد يكون ملقاً للملك المؤلف

والمذكرات الخاصة التى يضعها القواد عن أعمالهم فى الحروب يغلب عليها المبالغة ، وحسن تقدير تلك الأعمال وتعظيم نتائجها مما قد يكون إغراقا وتورطا فى الباطل ، وهى لهـذا لا يصح أن تتخذ سندا من أسانيـد التاريخ إلا بكثير من الحيطة والحذر . وينسب الى نابليون الأول شىء من هذا فى مذكراته التى كتبها عن نفسه ، ولم يتحرر يوليوس قيصر من مثل ما ينسب الى نابليون فى مذكراته عن « الحرب الغاليّـة »

ويذكرون أن سوتر كتب أيضاً عدة رسائل عن الشؤون العامة فى عصره نشرها «ديونيسو دورس» أحد تلاميذ « أرستاركاس » العالم الاسكندرى ، يؤسفنا أننا لم نعثر على شىء منها حتى الآن

* * *

وفى أواخر أيام سوتر كان لا بد له من تسوية مسألة وراثة العرش ، إذ كان له أكثر من وريث ، وكان أكثرهؤلاء الوراث خطراً على العرش البطليموسى « بطليموس» ابن له من يونانية ، أخذ ديمتريوس ملك مقدونيـة الموتور يشد أزره ويناصره على بطليموس «فيلادلف» . وكان النزاع بين هذين الوريثين نزاعا بين روحين مختلفتين : روح مصرية ، وروح يونانية ؛ وكان انتصار إحداها على الأخرى انتصاراً لأحدى الروحين ، وتحديداً لمستقبل البلاد . وكان ميل الملك الأب مع ابنـه فيلادلف ، وكان هوى الشعب مع الأخير إذكاء للروح القومية الجديدة التى بدأها وارث ملك الاسكندر فى مصر سوتر العظيم ، وإنهاضاً لمدنية هلينية الأصل حقاً ، ولكنها من حق الاسكندرية ، ومن جهدها وإحيائها . كان الملك الأول يأنس فى الملك الابن فيلادلف سياسة مشابهة لسياسته ، أساسها المحافظة على الصبغة المشتركة التى جمعت

بين اليونانية الهلينية والمصرية الفرعونية ، والتي حرص البطالسة على التمسك بها كأساس للحكم الجديد ، لا مناص منه ، إبقاء على دولتهم من أن تبيد

والذي يتأمل كيف عني سوتر بتربية ابنه فيلادلف على أيدي خير الأساتذة ، يرى كيف كان يحرص على أن ينتهي ملكه إلى هذا الوريث دون سواه ، وقد كان أن نزل سوتر لابنه فيلادلف عن العرش ، ولكنه ظل يظهر في بلاط ابنه مدة عامين كأحد الرعايا ، ومات عام ٢٨٣ ق . م مخلفا على الزمن سجلاً حافلاً بالحوادث الجسام قلّ أن تتوفر لحاكم

استطاع سوتر أن يركز دراسة العلوم والآداب والفلسفة والطب في عاصمة ملكه ، ولكن هل استطاع أن يجعل الاسكندرية كعبة الفنون في هذا العصر ؟

إذا كان لنا أن نحكم بالشواهد التي بين أيدينا وهي تلك النقوش البديعة التي ترى فوق العملة المتخلفة عن هذا العصر في دور العاديات ، لما تأخرنا عن الحكم قطعا بتقدم الفن في ذلك العصر ؛ غير أنه لا يجب أن يغيب عن بالنا ونحن في هذا الصدد أن الفن الاغريقي كان عليه أن يغالب فنا من أقوى الفنون التي عرفها تاريخ العمارة هو الفن الفرعوني . والمشاهد بوجه عام أن المباني التي أقامها البطالسة خارج الاسكندرية روعي فيها أن تكون فرعونية الصبغة ، ولكنها لم تخل من التأثر بالفن الاغريقي ؛ ولم يكن للبطالسة من ذلك مناص ، تشبها بالفراعنة وإرضاء لذوق الشعب المصري الذي لم تنسه الأحداث السياسية قوميته ، ولم يمجد على مرور الزمن أبطالاً غير أبطاله ، ولم يعرف عنه أنه أسلم القياد كله للمدنية الدخيلة ، ولا سيما للجانب الديني منها ، بل بقي محافظاً على دين أجداده محافظة تامة . لهذا ظلت المباني ذات الصبغة الدينية على النمط الفرعوني

تأثر البطالسة بالديانة المصرية أكثر مما تأثر المصريون بالفن الاغريقي ، ولذلك بقيت الصبغة المصرية كما أسلفنا ظاهرة في الفن الذي عرف عن العصر البطليموسي ، إلا في الاسكندرية ذاتها ، حيث كان كل شيء يونانياً صرفا ؛ فأقيم في الاسكندرية في هذا العصر المتحف والملعب والمسرح والسيما حيث دفن الاسكندر ، وكانت كلها من غير جدال آية في إبداع الصنعة الاغريقية ، رغم ما يحاول البعض إشاعته من تأخر الفن في هذه الفترة من الزمن

والأدلة المادية على تقدم الفن الاغريقي في مصر في هذا الزمن ما أبدعته يد نحات لتابوت من الرخام البديع الصنع مازال محفوظا في متحف القسطنطينية لملك مجهول الاسم من ملوك صيدا ، هو تحفة من تحف الحفر وحذق الألوان ، وتلك المشاهد التاريخية التي ترى محفورة على الأحجار تمثل المعارك بين الفرس والاغريق ، إلى تلك الصور الرمزية التي قصد بها الاشارة إلى امتزاج الشرق والغرب عن طريق الحضارة الاغريقية ، إلى مناظر الصيد وغير ذلك مما لا يفوقه سوى « البارثنون » في أثينا

وأغلب الظن أن الاسكندرية بما توفر لها من سمو المكانة لا بد أن تكون قد استهوت أمهر البنائين ، ورجال الفنون حيث بلاط سوتر وفيلادلف وعطاؤهما المغدق لكل من برز في ناحية من النواحي ؛ ولا شك أن الاسكندرية عروس البحر الأبيض المتوسط لم تكن إلا من خلق هؤلاء الفنانين وإبداعهم

وقد كتب م . شريير مقالاً ممتعاً عن فن نشأ بالاسكندرية وتقدم فيها ، وانفردت به ، هو صناعة الأواني الذهبية والفضية التي تتخذ عادة مقياساً لتقدم الحرف اليدوية ، والتي لا تزال شاهدة على قولنا بين محتويات دور الآثار . ويحاول هو أن يثبت أن الاسكندريين كانوا الأساتذة في هذا المضمار وفي غيره . ففي رأيه أن أسلاف « بنفنتو سليني » الايطالي ، والمدرسة الايطالية التي زعيمها هذا الأخير حاكت فن الاسكندرية في الشعر والفن . وهو يدلل بقوة على حب الاسكندريين للطبيعة وتقديرهم لروائعها ، وعلى أن الاسكندرية كانت حلقة الاتصال بين العلم والفن ، وبين القديم والحديث ، وبين الشرق والغرب .... الخ

ليس الفن في ذاته ناحية من نواحي نشاط جامعة الاسكندرية ، ولا هو عادة يتصل بالدراسة الجامعية اتصالاً مباشراً ، ولكننا سقنا هذه الكلمة القصيرة عن الفن الاغريقي الاسكندري ، لأنه جانب من جوانب المدنية ، كان يستلزم من الاسكندريين ولا شك إلماماً بالأصول الهندسية التي لا غنى لفن العمارة عنها . ونحن وإن كنا لم نحصل على ما نقطع الرأي به من أن الهندسة التي اشتهرت بها الاسكندرية منذ عهد اقليدس كانت تطبق ويستفاد منها عمليا في فن العمارة ، إلا أننا نرجح إمكان استفادة الفن من هندسة إقليدس استفادة كبرى

ولنا في بعض مقالاتنا التالية عود إلى نقل إيطاليا وخاصة جامعة « بدوا » في العصور الوسطى عن جامعة الاسكندرية نظامها والكثير من تراثها الفكري حيث شاع منها إلى أوربا من قطر إلى قطر ومن عصر إلى عصر .

إبراهيم جمعة

للتاريخ السياسي

معاهدة الصداقة والتحالف
بين مصر وانجلترا
— ٣ —

محضر متفق عليه

رغب الوفد المصري ووفد المملكة المتحدة أن يسجلا في محضر المفاوضات ما اتفقا عليه من تفسير لبعض نصوص معاهدة التحالف ، وفيما يلي بيان هذه التفسيرات :

١ — من المفهوم طبعاً أن التسهيلات المنصوص عليها في المادة السابعة التي تقدم إلى صاحب الجلالة الملك والأمبراطور تشمل إرسال قوات أو امدادات بريطانية في الحالات المعينة بتلك المادة

٢ — من المفهوم أنه كنتيجة لأحكام المادة السادسة تتبادل الحكومتان المشورة في حالة خطر قطع العلاقات

وعليه ففي حالة قيام ضرورة دولية مفاجئة يخشى خطرها يعمل بمبدأ التشاور المتبادل نفسه

٣ — تشمل « طرق المواصلات » المشار إليها في الجملة الثانية من المادة السابعة المواصلات الاخبارية (الأسلاك البحرية والتلغرافات والتليفونات واللاسلكي)

٤ — تشمل الاجراءات الحربية والادارية والتشريعية الوارد ذكرها في الجملة الثالثة من المادة السابعة الاجراءات التي بموجبها تراعي الحكومة المصرية في استعمال حقها بالنسبة لمواصلات الراديو الكهربائية مستلزمات محطات التلغراف اللاسلكي التابعة للقوات البريطانية في مصر ، وتواصل العمل مع السلطات البريطانية لمنع أي تدخل بين موجات محطات التلغراف اللاسلكي البريطانية والمصرية ، كما تشمل الاجراءات التي تكفل الرقابة الفعالة على جميع وسائل المواصلات المشار اليها في تلك المادة

٥ — يراد بكلمتي « منطقة جنيفة » الواردتين في الفقرة الثانية (ا) من ملحق المادة الثامنة امتداد شاطئ البحيرة المرة الكبرى من نقطة تبعد ثلاثة كيلو مترات شمالي محطة جنيفة إلى نقطة تبعد ثلاثة كيلو مترات جنوب شرق محطة فايد بعرض ثلاثة كيلو مترات من شاطئ البحيرة

٦ — من المتفق عليه بالنسبة إلى (ب) من الفقرة الثانية من ملحق المادة الثامنة أن تحدد بالضبط وفي أقرب وقت مستطاع الأماكن التي ستحل بها القوات الجوية بالمنطقة المشار اليها هناك

وينقل كذلك إلى هذه المنطقة مستودع قوات الطيران الملكية الموجودة الآن بأبي قير ، على ألا يتأخر ذلك عن تاريخ انسحاب القوات البريطانية من القاهرة طبقاً للفقرة الثامنة

٧ — من المتفق عليه بالنسبة للفقرة الثالثة من ملحق المادة الثامنة (ا) أن تشمل أبنية الثكنات البريطانية أماكن للمتزوجين من الضباط ، ولنسبة معينة من الرتب الأخرى . (ب) إنه وإن كان يمكن الآن تحديد موضع مصحة النقاهة تحديدا نهائياً إلا أن العريش قد تصلح لهذا الغرض . (ح) إن الحكومة المصرية جرياً على الخطة التي سلكتها فعلا لمصلحة سكان تلك المناطق ستتخذ جميع التدابير الصحية الممكنة لمكافحة الملاريا في الجهات المجاورة للمناطق التي توجد بها القوات البريطانية

٨ — من المتفق عليه بالنسبة للفقرة السادسة من ملحق المادة الثامنة أنه فيما يتعلق بالطريق رقم (٢) إذا لم تستطع الحكومة المصرية الاتفاق مع شركة قنال السويس على استخدام القوات البريطانية والمصرية لهذا الطريق وأصلاح الأجزاء التي لم تصل بعد إلى مستوى الأجزاء الأخرى إلى أن تفي بالشروط المبينة في الفقرة السادسة فان الحكومة المصرية ستنشئ طريقاً جديداً يصل ما بين هذه الأماكن

٩ — من المتفق عليه بالنسبة للفقرة الثانية عشرة من ملحق المادة الثامنة أن يقتصر عدد أفراد الفصيلة المشار اليها على الحد الأدنى اللازم بالضبط لاستلام هذه الأدوات وحراستها

١٠ — من المتفق عليه بالنسبة للفقرة الثالثة عشرة من ملحق المادة الثامنة أن الطيران سيكون لأغراض التدريب ؛ على أن يكون في الغالب فوق المناطق الصحراوية ، ولا يكون فوق المناطق المسكونة إلا حين تقتضي الضرورة ذلك

١١ — من المتفق عليه طبعاً فيما يتعلق بالفقرة الثانية من المذكرة المصرية الثانية أن الحكومة المصرية هي التي تدفع نفقات البعثة العسكرية ، وأن كلمتي « التدريب الصحيح » الواردتين

فى هذه الفقرة يشملان التدريب فى الكليات والمعاهد الحربية والبريطانية

١٢ — لا تنطبق الفقرة الثانية من المذكرة الثانية إلا على الأشخاص الذين يكونون بالفعل فى ذلك الوقت من أفراد القوات المصرية المسلحة

١٣ — يراد بكلمة « المعدات » الواردة بالفقرة الثالثة من المذكرة المصرية الثانية كل المهمات التى يحسن بالقوات التى تعمل معاً أن تتخذها من صنف واحد فلا تشمل الملابس ولا المنتجات المحلية

ملحق للمادة الحادية عشرة

إلى أن يتفق الطرفان على غير ما يأتى تطبيقاً للفقرة الأولى من هذه المادة يتعين أن تكون المبادىء العامة التى يراعيانها فى المستقبل بالنسبة للاتفاقات الدولية هى أنها لا تنطبق على السودان إلا بعمل مشترك تقوم به حكومة المملكة المتحدة وحكومة مصر وأن مثل هذا العمل المشترك يكون لازماً تماماً كذلك إذا أريد إنهاء اشتراك السودان فى اتفاق دولى كان ينطبق عليه

والاتفاقات التى يراد سريانها على السودان تكون على العموم اتفاقات ذات صفة فنية أو إنسانية ، وتشمل مثل هذه الاتفاقات فى الغالب على الدوام حكما خاصاً بالانضمام اللاحق اليها ، وفى مثل هذه الأحوال تتبع هذه الطريقة لجعل الاتفاق سارياً على السودان . ويجرى الانضمام بوثيقة مشتركة يوقعها عن مصر وعن المملكة المتحدة كل فيما يخصه شخصان مفوضان فى ذلك تفويضاً صحيحاً . وتكون طريقة إيداع وثيقة الانضمام فى كل حالة موضع اتفاق بين الحكومتين

وفى حالة ما إذا أريد أن يطبق على السودان اتفاق لا يحتوى على نص خاص بالانضمام تكون طريقة تحقيق ذلك موضع تشاور واتفاق بين الحكومتين

وإذا كان السودان بالفعل طرفاً فى اتفاق وأريد إنهاء اشتراكه فيه تشترك المملكة المتحدة ومصر فى إصدار الاعلان اللازم لهذا الانهاء

ومن المتفق عليه أن اشتراك السودان فى اتفاق ما وإنهاء ذلك الاشتراك لا يكونان إلا بعمل مشترك يجرى خصيصاً بالنسبة للسودان ولا يستنتجان من مجرد كون المملكة المتحدة ومصر طرفين فى الاتفاق أو من نقضهما لهذا الاتفاق

وفى المؤتمرات الدولية التى تجرى فيها المفاوضات فى مثل هذه الاتفاقات يكون المندوبان البريطانى والمصرى بطبيعة الحال على اتصال دائم بالنسبة لأى إجراء قد يتفقان على أنه مرغوب فيه لصالح السودان

محضر متفق عليه

١ — من المتفق عليه بالاشارة إلى الفقرة الأولى من المادة الحادية عشرة أن يقدم الحاكم العام إلى حكومة صاحب الجلالة فى المملكة المتحدة وإلى الحكومة المصرية تقريراً سنوياً عن إدارة السودان ، وأن يبلغ التشريع السودانى إلى رئيس مجلس الوزراء المصرى مباشرة

٢ — من المتفق عليه بالاشارة الى الفقرة الثانية من المادة الحادية عشرة أنه بينما يكون تعيين الوطنيين المصريين فى الوظائف الرسمية بالسودان خاضعاً بالضرورة لعدد الوظائف المناسبة الخالية ووقت خلوها ومؤهلات المرشحين المتقدمين لها فان أحكام تلك الفقرة تسرى فوراً بمجرد نفاذ المعاهدة ؛ وتكون ترقية الوظفين فى حكومة السودان بدون اعتبار للجنسية الى أية درجة كانت وذلك بالاختيار تبعاً للجدارة الشخصية

٣ — ومن المفهوم أيضاً أن هذه النصوص لا تمنع الحاكم العام من أن يعين أحياناً فى بعض الوظائف الخاصة أشخاصاً من جنسيات أخرى إذا لم يتيسر وجود ذوى المؤهلات من الرعايا البريطانيين والوطنيين المصريين أو من السودانيين

٤ — من المتفق عليه فيما يتعلق بالفقرة الثالثة من المادة الحادية عشرة أنه نظراً لأن الحكومة المصرية ترغب فى إرسال الجنود الى السودان فان الحاكم العام سيبادر بالنظر فى أمر عدد الجنود المصرية اللازمة للخدمة فى السودان والأماكن التى يقيمون فيها والثكنات اللازمة لهم ؛ وسترسل الحكومة المصرية فوراً بمجرد نفاذ المعاهدة ضابطاً مصرياً عظيما يستطيع الحاكم العام استشارته فى هذه الأمور

٥ — بما أنه قد تم الاتفاق بين الحكومة المصرية وحكومة صاحب الجلالة فى المملكة المتحدة على أن مسألة الدين المستحق لمصر على السودان والمسائل المالية الأخرى المتعلقة بهما تبحث بين وزارة المالية المصرية ووزارة المالية بالمملكة المتحدة ، وبما أن هذا البحث قد ابتدأ بالفعل فقد رؤى أنه ليس من الضرورى أن

تتضمن المعاهدة أى نص خاص بهذه المسألة

خطاب من فخامة المندوب السامي

خطاب للمندوب السامي

إلى دولة مصطفى النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء

سيدى :

فى خلال مناقشتنا فى المسائل التفصيلية المتصلة بالفقرة الثانية من المادة الحادية عشرة أقترح ندب خبير اقتصادى مصرى للخدمة فى الخرطوم وأبدى الحاكم العام رغبته فى تعيين ضابط مصرى سكرتيراً حربياً له ، وقد سجل الاقتراح والرغبة المشار اليهما واعتبرا مقبولين من جهة المبدأ ؛ كما إنه قد اعتبر من المرغوب فيه ومن المقبول أن يدعى مفتش عام الرى المصرى بالسودان إلى الاشتراك فى مجلس الحاكم العام كلما نظر المجلس فى مسائل متصلة بأعمال مصلحته

وتفضلوا ... الخ امضاء

ملحق للمادة الثالثة عشرة

إن الأغراض التى ترى إليها التدابير الواردة فى هذا الملحق هى :

١ — الوصول على وجه السرعة إلى إلغاء الامتيازات فى مصر وما يتبع ذلك حتما من إلغاء القيود الحالية التى تقيد السيادة المصرية فى مسألة سريان التشريع المصرى (بما فى ذلك التشريع المالى) على الأجانب

٢ — إقامة نظام انتقال لمدة معقولة تحدد ، ولا تطول بغير مبرر . وفى حدود تلك المدة تبقى المحاكم المختلطة وتباشر الاختصاصات المخولة الآن للمحاكم القنصلية فضلاً عن اختصاصها القضائى الحالى

وفى نهاية فترة الانتقال هذه تكون الحكومة المصرية حرة فى الاستغناء عن المحاكم المختلطة

٢ — تتصل الحكومة المصرية كخطوة أولى فى أقرب وقت مستطاع بالدول ذوات الامتيازات بقصد (١) إلغاء كل قيد يقيد التشريع المصرى على الأجانب ، و (ب) إقامة نظام انتقال للمحاكم المختلطة كما هو وارد فى الشطرة الثانية من الفقرة الأولى سالفة الذكر

٣ — إن حكومة صاحب الجلالة فى المملكة المتحدة بصفتها دولة من ذوات الامتيازات وبصفتها حليفة لمصر لا تعارض بتاتاً فى التدابير المشار إليها فى الفقرة السابقة ، وستتعاون تعاوناً فعلياً مع الحكومة المصرية فى تحقيق هذه التدابير باستعمال كامل نفوذها لدى الدول ذوات الامتيازات فى مصر

٤ — من المتفق عليه أنه فى حالة ما إذا وجد من المستحيل تحقيق التدابير المشار إليها فى الفقرة الثانية فان الحكومة المصرية تحتفظ بحقوقها كاملة غير منقوصة إزاء نظام الامتيازات بما فيه المحاكم المختلطة

٥ — من المتفق عليه أن الشطرة (١) من الفقرة الثانية لا تعنى فقط أن موافقة الدول ذوات الامتيازات لن تكون ضرورية لسريان التشريع المصرى على رعاياها ، ولكنها تعنى أيضاً انتهاء الاختصاص التشريعى الحالى الذى تباشره المحاكم المختلطة بالنسبة لتطبيق التشريع المصرى على الأجانب ، ويتبع ذلك ألا يكون للمحاكم المختلطة فى سلطتها القضائية أن تقضى فى صلاحية سريان قانون أو مرسوم مصرى طبقه البرلمان المصرى أو الحكومة المصرية على الأجانب

٦ — يصرح صاحب الجلالة ملك مصر بمقتضى هذا أن أى تشريع مصرى يطبق على الأجانب لن يتنافى مع المبادىء المعمول بها على وجه العموم فى التشريع الحديث ، وأنه فيما يتعلق بالتشريع المالى على الخصوص فان هذا التشريع لن يتضمن تمييزاً مجحفاً بالأجانب بما فى ذلك الشركات الأجنبية

٧ — لما كان من المعمول به فى أكثر البلاد أن يطبق على الأجانب قانون جنسيتهم فى مسائل الأحوال الشخصية فسينظر بعين الاعتبار إلى أنه من المرغوب فيه أن تستثنى من نقل الاختصاص — على الأقل فى البداية — مسائل الأحوال الشخصية الخاصة برعايا الدول الممتازة التى ترغب فى أن تستمر محاكمها القنصلية فى مباشرة هذا الاختصاص

سيقتضى نظام الانتقال الذى يوضع للمحاكم المختلطة ونقل الاختصاص الحالى للمحاكم القنصلية إليها (الأمر الذى سيكون بطبيعة الحال خاضعاً لأحكام الاتفاق الخاص المشار إليه فى المادة التاسعة) إعادة النظر فى القوانين الحالية الخاصة بتكوين المحاكم المختلطة واختصاصها بما فى ذلك إعداد وإصدار قانون جديد لتحقيق الجنايات

ومن المفهوم أن إعادة النظر هذه ستتضمن فيما تتضمنه المسائل الآتية :

١ — تعريف كلمة أجنبي بصدد الاختصاص المقبل للمحاكم المختلطة

٢ — زيادة عدد موظفي المحاكم والنيابات المختلطة بما يقتضيه التوسيع المقترح لاختصاصها

٣ — الاجراءات المتعلقة بمسائل العفو أو تخفيف عقوبة الأحكام الصادرة على الأجانب والاجراءات المتعلقة بتنفيذ عقوبة الاعدام الصادرة عليهم

محضر متفق عليه

من المتفق عليه بالنسبة للفقرة السادسة من ملحق المادة الثالثة عشرة أن المسائل التي ينطوي عليها هذا التصريح لا تخضع لقضاء أي محكمة في مصر

المذكرة المصرية الأولى

سيدي :

بالاشارة إلى المادة الثانية من المعاهدة التي وقعناها اليوم أتشرف باخباركم أنه نظراً لأن حضرة صاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى وإرلندا والأملاك البريطانية وراء البحار وامبراطور الهند سيكون أول ملك أجنبي يمثله في مصر سفير فان السفراء البريطانيين سيعتبرون ذوي أقدمية على باقي الممثلين السياسيين المعتمدين لدى بلاط صاحب الجلالة ملك مصر . وتكون محتويات هذه المذكرة خاضعة لاعادة النظر في الوقت وبالشروط المنصوص عنها في المادة السادسة عشرة من المعاهدة

المذكرة المصرية الثانية

سيدي :

أريد أن أسجل هنا مسائل معينة أخرى تم التفاهم عليها وتتصل بالشؤون العسكرية في معاهدة التحالف التي وقعناها اليوم

١ — يسحب الموظفون البريطانيون من الجيش المصري وتلغى وظائف المفتش العام والموظفين التابعين له

٢ — نظراً لأن الحكومة المصرية ترغب في استكمال تدريب الجيش المصري بما فيه سلاح الطيران وتنوي لمصلحة المحالفة التي تم عقدها أن تختار المدربين الأجانب الذين قد ترى حاجة اليهم من بين الرعايا البريطانيين وحدهم فانها قد اعتزمت أن تنتفع بمشورة بعثة عسكرية بريطانية للمدة التي تراها ضرورية للغرض المذكور ، وتتعهد حكومة صاحب الجلالة في المملكة المتحدة بأن تقدم البعثة العسكرية التي تطلبها الحكومة المصرية كما تتعهد بأن تقبل من ترى الحكومة المصرية إيفاده من رجال جيشها للتعلم بالمملكة المتحدة وأن تكفل لهم التدريب الملائم . ونظراً للظروف التي هيأتها هذه المعاهدة سوف لا ترغب الحكومة المصرية بطبيعة الحال في إيفاد أحد من أفراد قواتها المسلحة ليتلقى دراسته في أي معهد أو وحدة من معاهد التدريب أو وحداته في غير المملكة المتحدة ، على ألا يمنع ذلك الحكومة المصرية من أن توفد إلى أي بلد آخر رجال الجيش الذين لا يتيسر قبولهم في معاهد المملكة المتحدة ووحداتها

٣ — يتعين لصالح المحالفة ونظراً لاحتمال ضرورة التعاون في العمل بين القوات البريطانية والمصرية ألا يختلف طراز أسلحة القوات المصرية من برية وجوية ومعداتها عن الطراز الذي تستعمله القوات البريطانية . وتتعهد حكومة صاحب الجلالة في المملكة المتحدة بأن تبذل وساطتها لتسهيل توريد تلك الأسلحة والمعدات من المملكة المتحدة بمثل الأثمان التي تدفعها حكومة صاحب الجلالة كما رغبت الحكومة المصرية في ذلك

المذكرة المصرية الثالثة

سيدي :

بالاشارة إلى المادة الرابعة عشرة من المعاهدة التي وقعناها اليوم أتشرف بابلاغكم أن الحكومة المصرية تنوي إلغاء إدارة الأمن العام الأوربية فوراً ، ولكنها ستستبقي لمدة خمس سنوات من نفاذ المعاهدة عنصراً أوروبياً معيناً في بوليس المدن ، ويبقى هذا البوليس في المدة المذكورة تحت إمرة ضباط بريطانيين

وتسهيلاً لأحلال موظفين مصريين بالتدريج محل العنصر الأوربي المذكور مما يضمن تجانس العمل في نظام البوليس تنوي الحكومة المصرية أن تستغني كل عام عن خدمة خمس موظفي البوليس الأوربي

وستفضل الحكومة المصرية على العموم بالنظر لمعاهدة الصداقة والتحالف التي وقعناها اليوم الرعايا البريطانيين الحائزين للمؤهلات المطلوبة عندما تستخدم خبراء من الأجانب

(تمت ملحقات المعاهدة)

٣ - نهضة المرأة المصرية

وكيف توجه للخير العام

للأستاذ فليكس فارس

من هذا الموقف دفعت الانسانية فى الغرب أوائل خطواتها على سبيل المدنية الحديثة ، فكان التمرد على النظم القديمة البالية ، وكانت الثورات التى خضبت الأرض بدماء الأسياد والعبيد ، بدماء الظالمين والمظلومين ، بدماء الأبرياء والمجرمين ، نجيعاً واحداً رقص الشعب فوقه صاخباً باكياً ضاحكا فى سكرة الأمانى المحطمة والآلام المخدرة

من مثل موقف الرومان ومن مثل موقف العرب حين سادت الخرافات بين الشعوب خرجت أوروبا الى عهدها الجديد ، ولكن عيسى لم يكن هاديها ، ولا كان محمد ماشياً فى طليعتها . كان إنجيل الغرب حقوق الانسان التى كتبها الثائرون بالدم المتمرد ، وكان قرآنها القوانين التى سنها نابليون لأقامة الموازنة بين الحقوق ، ولكن هذا الانجيل الحديث الذى استمد من إنجيل عيسى المساواة والانصاف لم يتناول سواهما من مبادئ الاحسان والعطف والمغفرة والرحمة ، وهذا القرآن الجديد : قوانين نابليون المستمدة من مذاهب الأئمة فى الشرع الاسلامى وقف عند حد التنظيم المادى لحقوق الناس ، فقصر عن الأخذ بما فى قرآن النبى الهادى من الدعوة الى المعروف والبر بالادنين والأبعدين من بنى الانسان

رأت بلاد الغرب أن الدين قد أصبح سلطة تواطأت طويلاً مع السلطان المدنى المطلق وما حوله من سادات الاقطاع ، وامتنع عليها أن تسلخ إنجيل عيسى عن هذه السلطة فأنكرتها وأنكرت عيسى وتعاليمه معها . وسارت المدنية الحديثة فى طريقها مستنيرة بالعلم الوضعى منكرة كل ما لا تقع الحواس عليه ، فأصبحت القوة وحدها المسيطر الأعلى تنبسط قاعدة رهيبة للمعجل الذهبى فتمده باعتلائها ويمدها بلمعانه وصولته

وبقيت المسيحية دين الغرب ، ولكنها حصرت فى كنائسه وانكمشت مبادئها عن الحياة نفسها ، وبينما كانت تتلى فى المعابد كل يوم الآيات التى هبطت على جبل فلسطين فهزت الدنيا وقلبت المدنيات القديمة ، وتتلى بعدها رسائل الحواريين التى كتبت فى السجون لتحرير الانسان ، كانت مدنية روما الوثنية تنبعث من كل جانب لتدور حول الكنائس مقهقهة ساخرة

كان العذارى يخرجن من الكنائس بعد سماعهن قول بولس الرسول بالتستر وحجب الشعور والاحتشام والطاعة للقيمين ، فيذهبن الى المراقص نصف عاريات كأنهن الدمى الرومانية نفخ إبليس فيهن نسمة الحياة

إن غريزة المرأة فى الأصل لا تطمح إلا الى الطريق الذى اختطه لها الناموس الطبيعى فى تكوينها ، وما أحبت امرأة رجلا إلا وكانت محبتها خيالاً سابقاً لمحبة الطفل الكامنة فيها

وإذا كانت الفتاة قد لجأت الى المواخير كما يقول الفريد دى ميسيه لتأكل بثدييها ، وتلتقى هناك بمن منع على نفسه أن يكون قيما عليها فأصبح مستثمراً لشقائها ، فانها لم تلبث أن تعودت إذلاله لها فى عرضها فلجأت الى العمل لتأكل بعرق جبينها احتفاظاً على الأقل بحق اختيارها للرفيق الموقت أو بحق التمرد على أنوثتها الكاسرة من عزتها ، وهكذا بعد أن كان الفتى يلقى الفتاة التى تحول عنها فى المواخير ليذلها ، أصبحت هى تلاقيه فى ميادين الأعمال لتزاحمه متملصة من إذلاله

سوف يأتى يوم وهو غير بعيد تنتبه المدنية فيه الى أن الرجل الكامل الذى ينشده العلماء فى الغرب لن يخلق لهم من التمرين لقوى العقل وقوى الجسد ولا من فحص الخلايا بالمجهر حتى ولا من التلقيح بالمواد الكيميائية أو غدد القرود ، فيتحققون أن الرجل المتفوق إنما هو ابن الحب الصحيح ؛ فالمحبة وحدها هى السبيل الى إدراك الحق والقوة والجمال

لندع العالم المتمدن يفتش بعلومه ونهضته على هذا الحب الذى تخيله كارل ماركس متجلياً فى الحرية التامة للناس فى أهوائهم فجاءت روسيا البلشفية تثبت انخداعه فى نظرياته ، ليقتنعوا أنهم لن يتوصلوا فى تجاربهم إلا إلى العبر الزاجرة المؤلمة

أما نحن أبناء هذا الشرق العربى الذى انبثق الحق فيه انصباباً من الداخل بالالهام لا تلمساً من الخارج ، فلنا المسلك المفتوح منفرجاً أمامنا للاعتلاء والخروج إلى النور بعد هذا الليل الطويل ، إذا نحن أخذنا بروح ما أوحاه الحق الينا

لا بترقية الزراعة والصناعة ، ولا بنشر التعليم والتهذيب ، ولا بجعل البلاد جنة فى أرضها غنى وتنظيما ، تنشأ الأمة ويخلق الشعب الحر السعيد

إن الجنين الذى يحمل أسباب شقائه وهو فى بطن أمه لا يمكنه أن يصير رجلاً حراً قوياً يفهم حقيقة الحياة ويتمتع بالعظمة الكامنة فيها

إن الاهتمام بإيجاد الطفل الصالح أولى من العمل لأعداد العلم والتهذيب لطفل نصقل مظاهره صقلاً وتتحطم كل محاولة نصرفها للنفوذ إلى علته المستقرة فيه منذ تكوينه .

ليس الفقير المتسول ، ولا العليل المتألم ، ولا الشيخ الهرم يتمشى بلا عزاء إلى قبره ؛ ليست المرأة المستعبدة بلقمة ، ولا الفتاة المخدوعة المنطرحة على أقذار المواخير ؛ ليس كل هؤلاء الناس الأشقياء فى الحياة بأشقى من الأطفال يجور عليهم الآباء والأمهات قبل أن يقذفوا بهم إلى الوجود ثم يرهقوهم بالقطيعة والاهمال حين يدرجون على الأرض بأقدامهم الناحلة المرتجفة

الرجل الذى يمسخ حبه شهوة ، والمرأة المتقصفة المتهتكة التى تجعل هيكل نسمات الله مركماً لنفايات البشر من عباد الخيانة والطيش ، إنما هما آدم وحواء مطرودين من الجنان إلى أرض الجهود المضيعة والآلام المحتمة . ومن يدرى أن حديث معصية الأبوين الأولين ليس رمزاً لخيانة الحب ، تلك الخيانة التى تنزل اللعنة بمرتكبيها وبأبنائهم من بعدهم

***

إن هذه الحقائق التى استجليناها من قاب الحياة لتملى علينا المبادىء التى يجب أن نأخذ بها لتوجيه المرأة للخير العام

إننا ، ولا ريب ، تجاه نهضة نسائية تبشر بارتقاء قريب ، ولكن هذه النهضة مقصورة على عدد قليـــل من السيدات اللواتى لم ينخدعن بمظاهر المدنية الغرارة فأدركن أن المرأة المترجلة الضلول ليست هى من نرجو لاحياء الأسرة وخلق الأمة الحية

الظلمات كثيفة ، والمشاعل قليلة ، ولكن هذه المشاعل كفيلة إذا رفعت بانارة نساء اليوم ونساء الغد وإرشادهن إلى ما ثوى فيهن من فطرة شرقية سامية

ليس كالمرأة من يصلح المرأة أو يفسدها . فليذهب صوت المرشدات متغلغلاً فى كل طبقات الأمة مهيباً بنسائها إلى النهوض . وليست النهضة التى نرجوها للخير العام بين النساء مما يستلزم الوقت الطويل ، لأنه إذا كانت نهضة الرجال فى أمة تقتضى تحصيل العلوم بأنواعها وفروعها سياسية وإدارية وصناعية وزراعية وفلسفية ، وتستلزم لبلوغ هذا الغرض امرار السنين الطوال درساً وتفكيراً ، فليس الحال على هذا المنوال فى إنهاض المرأة

نهضة الرجل فكرية عملية ، أما نهضة المرأة فاحياء إيمان وإشعال عاطفة . وقد لا تحتاج نساء بلدة لأكثر من خطب معدودة تلقيها امرأة ملهمة على عليها الحق الأعلى ما تقول ، فتخلق من كل فتاة زوجة صالحة ، ومن كل زوجة أماً رؤوما

إن الشريعة فى هذا الشرق العربى إنما هى وحى من السماء لخير المجتمع فى مختلف الأحوال والعصور ؛ ولشرعة الزواج بخاصة فى هذه البلاد ما ليس لأى قانون ابتدعه الناس فى سائر المعمور من حكمة ومرونة ، فهى عقد فيه للجاهلة المنحطة روادع وقيود ، وللمستنيرة الراقية الفاضلة مجال رحب يمتد فيه حقها قدر استحقاقها

الحق استحقاق وليس هبة ؛ وما ظلمت نساء الشرق فى أدوار انحطاطه إلا لقصورهن عن نيل هذا الحق

أما وقد آذنت الساعة بالنهوض ، وقيض الله لمصر والشرق العربى من يرى إصلاح المجتمع بتساوى أهمية وإصلاح الهيئات الحاكمة فيه ، فقد حق على الناهبين رجالاً ونساء أن يؤدوا رسالة الاصلاح لاحياء الأمة واستعادة مجدها

فلنستثمر إذن نهضة الناهضات فى سبيل الخير العام لأقالة الأسر من كبواتها على الأسس الآتية :

١ — إحياء شعور المرأة بقداسة رسالتها ، فتحس بأن لها شخصية مستقلة يسودها الانتخاب الطبيعى للرفيق مترفعاً عن كل استهواء للمطامع والشهوات المضللة . إن أشقى الناس من ضعفت شخصيته إلى درجة التردد فى اختياره ، وأذل فتاة فى الحياة من تقف حائرة بين طلابها فتنصب ميزان الترجيح ذاهبة مع الاعتبارات الفانية للتحكم بالحوافز الخفية العالقة بأهداب الخلود

٢ — تمكين عقيدة المرأة فى أن حريتها كامنة فى عبوديتها (لاشتياقها) كزوجة وكأم ، وإن انعتاقها من هذه العبودية إنما هو كفر بربها وبذاتها

٣ — تفهم سيادة الرجل القوام على المرأة على ما قصده الشرع من تأمين الحاجة والرعاية والصيانة ، فلا تؤول كما يحلو لبعض الرجال تأويلها بأنها تحكم وإرهاق واستبداد بالشخصية التى خلقها الله فأودعها إرادته . إن من يفهم السيادة تحكما بالذات لا خدمة لها إنما ينصب نفسه قواماً على فضل الله وقدره

٤ — إقصاء المرأة عن كل عمل يقصيها عن واجباتها ، إذ لا بد لكل مجتمع تترجل نساؤه أن تتأنث رجاله ، وليس برجل من لا غيرة فيه

٥ — أن تتيقن المرأة أن قسطها أوفر من قسط الرجل فى تكوين رجال الأمة ، لأنه وإن تساوت وإياه بتكوين جسم الجنين من ذرات متساوية قيمة وعدداً ، فان أثر شخصيتها فيه ليفوق أثر شخصية الرجل ، فهى المستودع والمرضع والمربى الأول

٦ — أن تعلم المرأة ويعلم الرجل قبلها أن إقامة أسرة على أنقاض أسرة إنما هو من قبيل البناء على الرماد ، وما يصلح الرماد أساساً يثبت عليه أىّ بناء

٧ — أن تثق الفتاة من أن طهارة روحها وعفاف جسمها إنما هما الركن الذى يبنى الرجل سعادته عليه ، فتحرص على هذا العفاف لأن عثرته حتى فى زواج خاطىء عثرة لا تقال ؛ وقلما نرى امرأة خرجت ظالمة أو مظلومة من بيت مهدّم وتمكنت من بناء بيت جديد لا تساوره الأشباح ولا تدور فى زواياه الخفية الوساوس والشكوك

٨ — أن ينتبه رجال الشرع إلى ظاهرة خطيرة فى أحوال الأسرة المصرية وهى ظاهرة الطلاق بنسبة مروعة تدل على ضعف العقيدة الدينية وعلى انحطاط فى الأخلاق ، وكلاهما نذير الدمار

٩ — أن تعمل المصلحات الناهبات بخاصة على إيجاد حضارة واحدة تتبعها نساء مختلف العناصر المكوّنة للوطن ، إذ لا معنى لهذا الاختلاف فى حياة الأسر التى تتفق كتبها السماوية على تنظيم الحياة بالمبادىء الأدبية العليا

إن لم يقم المجتمع على عادات وتقاليد وأزياء واحدة ، فان إقامة الوطن على مثل هـذا المجتمع المختلط لمن أصعب الأمور . وما تجتمع النساء فى بلادنا من عديد الطوائف إلا بين طبقة معلومة اقتبست من المدنية الغربية ما يضج منه عقلاؤها ، وليس الاتحاد الذى ننشده بين الأسر ما نرى فيه نساءنا الشرقيات من كل طائفة عاريات على الشواطىء أو نصف عاريات فى المقاصف والمراقص .

إن وحدة العادات والأخلاق التى نصبو إليها إنما تقوم على الحرية المصونة التى تبيح للمرأة المباهاة بفكرها ومزاياها الشريفة وتصدها عن المباراة بجمالها وعواطفها وهما نور بيتها الذى يجب ألا يوقد إلا بين جدرانه

على هـذه المبادىء تتم النهضة نساء البلاد فتنشأ الحضارة الخاصة الملائمة لهذا الشعب ؛ وما تسعد أمة تقتبس أساليب حياتها مما يتنافر وحوافز دمها وصوت القبور فى روحها

كل إنسان يجبن أمام الحوادث فى حياته فيلين لها حوافزه وفطرته إنما هو الشخصية المفقودة التائهة والشبح الباكى والحىّ المستحجر ؛ وقد تلمع أحداق مثل هـذا الانسان بالجد والظفر ، ولكن أنوار السعادة تبقى منطفئة فى عينيه

ونحن كأمة لا يمكننا الانفلات من هذا الناموس الثابت . إن فطرتنا مقدورة علينا كامنة فينا ؛ وكل أمة تحيا على غير فطرتها فهى أمة باكية بدموع صامتة ، هى أمة مستضعفة مستعبدة لا معنى لحياتها ولا سعادة فيها

نحن بحاجة إلى نهضة روحية أدبية تصلح منابت أطفالنا بعقيدة يحييها النابهون فى الشعب تحت جنح إيمانه الشرق المسكين ، وليس كالعقائد فى شعب ما يكفل كرامته ويضمن اعتلاءه

بين بعض قبائل الصحراء عقيدة أصبحت فطرة فى أفرادها ، وهى اعتبار الكذب عاراً دونه أى عار ، فاذا ما ارتكب الكذب أحد أفراد القبيلة اضطر رئيس أسرته إلى قلع أطنابه والهرب بنسائه وأطفاله إلى بعيد حيث يوارى فى النفى الأبدى ما التصق به من عار

إلى خلق مثل هذه العقائد يجب أن تتوجه جهود الناهضات من النساء فيصبح الرأى العام سياجاً حرابه الزراية والاحتقار ، يصد كل امرأة تقصر عن المحافظة على حقها أو تطمح إلى تجاوزه ، وتصد كل رجل يقصر فى واجباته كقوام على المرأة أو يسىء استعمال هذه الواجبات . وهكذا يساق الرجل إلى معاملة زوجته كما يريد أن تعامل ابنته فى زواجها

إن عقائد الأمم الاجتماعية إنما تحفظها صدور النساء قبل صدور الرجال ، وتنبيه مثل هذه العقائد والتقاليد فى فطرة بنات الشرق لعمل يسهل على رسولات الحق إذا عضدتهن السلطات الزمنية والروحية فى هذا السبيل

(تم البحث) فليكس فارس

الجاحظ

فى مقالة « الفلسفة والالهيات »

للأديب محمد طه الحاجرى

جاء فى المقالة التى نشرتها (الرسالة) عن « الفلسفة والالهيات » مترجمة عن الأستاذ الفرد جيوم ، بقلم الأديب الفاضل توفيق الطويل عبارة مروية عن شيخ الكتاب أبى عثمان الجاحظ فى صدد الدعوى بأن مرد الفلسفة العربية فى مادتها وصورتها وغايتها إلى حضارة البلاد التى غزاها العرب ، وأن المعين الذى استقوا منه مذاهبهم هو الفلسفة اليونانية

والذى يجب التنبيه اليه أولاً هو أن هذه العبارة مروية بالمعنى ، بل بأصل المعنى ، لا بالنص الذى كتبه الجاحظ ، والذى لا ينبغى أن يعدل عنه أو يتسامح فى إيراده ، إذا كنا نلتزم الأسلوب العلمى « الجامعى » فى البحث والاستشهاد ، ولا سيما حين يكون النص المروى من ميراثنا الأدبى ، ردّ الينا ، وورد فى سياق عربى وموضوع عربى ، ثم كان بعد ذلك لأمام من أئمة الأدب العربى . أما أن يترجم النص إلى الانجليزية ، مع ما تستلزمه طبيعة الترجمة من اضعاف المعنى واخفاء بعض خصائصه ، ثم ترجمة هذه الترجمة إلى اللغة العربية ، فصنيع غريب من شأنه أن يهلهل المعنى وينهكه ، حتى لا يبقى منه فى العبارة المنقولة إلا ظل خفيف ناصل . ولقد عرض الجاحظ نفسه لهذا المعنى فى كتابه « الحيوان » فى سياق كلامه عن الترجمة وخصائصها

ولكن وزر هذه المخالفة للأسلوب العلمى لا يرجع ، فيما نحسب ، إلى المترجم الفاضل بقدر ما يرجع إلى ضعف الروح الأدبية العربية التى تركت الجاحظ — وهو شيخ الكتاب وأمير البيان العربى بلا منازع — مغمور القدر مجهول المكان ، وتركت ما أبقت عليه أحداث الزمن من ذخائر كتبه — وهى طرف فنية لا تكاد تظفر المكتبة العربية بما يناظرها — وكأنما هى كتب ألغاز وطلسمات من كثرة ما منيت به فى نشرها من تحريف وتصحيف وخرم وتشويه وسوء طبع وفساد كبير

أما أصل هذه العبارة المترجمة فهو — فيما نرى — ما يلى :

(مأخوذاً من كتاب الحيوان ، الجزء الأول ، صفحة ٤٢ ، ٤٣ فى أثناء الفصل القيم المستفيض الذى كتبه الجاحظ فى فضل الكتب والترغيب فى اصطناعها)

« ولولا ما أودعت لنا الأوائل فى كتبها ، وخلّدت من عجيب حكمتها ، ودونت من أنواع سيَرها ؛ حتى شاهدنا بها ما غاب عنا ، وفتحنا بها كل مستغلق كان علينا ، فجمعنا الى قليلنا كثيرهم ، وأدركنا ما لم نكن ندركه إلا بهم ، لما حسن حظنا من الحكمة ، ولضعف سببنا إلى المعرفة »

أما الاستشهاد بهذه العبارة التى سيقت فى فضل الكتب على تلك الدعوى المريضة التى يلج الكاتب فيها ، والتى يزجيها الهوى وتصوغها العصبية ، فاستشهاد ضعيف متهافت كما ترى ، فليس فيها إلا ما يقوله كل ناظر فى تاريخ العلم من أنه حلقات متصلة مترادفة ، يكمل لاحقها سابقها ، وينبنى آخرها على أولها انبناء الحاضر على الماضى ، فى جميع مجالات الحياة وفروع المعرفة ، وإن كتب الأوائل هى التى أوجدت هذه الصلة ، ومهدت للفكر العربى سبيله

على أن هذا الاستشهاد غريب من ناحية شخصية الجاحظ ، فانه من المثل القوية التى تبين إلى حد كبير بروز الشخصية العربية فى عالم المعرفة ، واصطباغها صبغة مستقلة . ويلاحظ قارئ كتابه الحيوان أنه كثيراً ما ينقل عن صاحب المنطق بصيغة التمريض : «وزعم صاحب المنطق» ويعقب عليه أحياناً بعبارات يتبين فيها اعتداده بنفسه ، إذ يقول مثلاً : « وقد سمعنا ما قال صاحب المنطق من قبل ، وما يليق بمثله أن يخلّد على نفسه فى الكتب شهادات لا يحققها الامتحان ، ولا يعرف صدقها أشباهه من العلماء »

أمثل صاحب هذا الأسلوب الشامخ بنفسه يزج فى معرض الاستشهاد على أن الفلسفة العربية ليست الا صورة من الفلسفة اليونانية ، مشوبة ببعض الفلسفات الفارسية والهندية ؟ !

وبعد ، فنرجو ألا يحسب أحد أننا نغض بهذه الكلمة العاجلة ، وبهذا التعقيب على صورة من صور الاستدلال من القيمة العلمية لكتاب « تراث الاسلام » الذى نرجو أن نرى فيه صورة من صور البحث الدقيق إن شاء الله ؟

محمد طه الحاجرى

ترجمة وتلخيص

خطاب أندريه جيد

فى تأبين مكسيم جوركى

للسيد ماجد شيخ الأرض

ألقى كاتب فرنسا العظيم خطابه التأبينى فى ساحة موسكو الحمراء حيث شيع جثمان كاتب روسيا العالمى مكشيم جوركى إلى مقره الأخير قال :

ليست المصيبة بموت الكاتب الكبير مكسيم جوركى بمصيبة الاتحاد السوفييتى وحده ، إنما هى رزء العالم كله ، مادت لهوله الأرض من أقصاها لأقصاها . ولقد كان يسمع هذا الصوت الجبار الناطق بلسان الشعب الروسى العظيم فى كل قطر ، وينفذ صداه إلى كل قلب . ولست أعبر فى هذا الموقف عن شعورى وحدى ، فهو شعور الآداب الفرنسية ، بل هو شعور الأدب فى أوروبا ، بل هو شعور الثقافة فى العالم كله

بقيت الثقافة زمناً طويلاً وقفاً على الطبقات الرفيعة ، فلا يرد منهلها إلا فئة من الناس توفرت لهم أسباب الفراغ ، وما إخالكم تجهلون كيف تتوفر أسباب هذا الفراغ الذى تكدح من أجله الأغلبية الساحقة من البشر ، لتدع وقتاً تتاهى فيه تلك الطبقة الرفيعة القليلة بالثقافة والفنون الجميلة . وما أظنكم تجهلون أيضاً أن ورود منهل الثقافة ليس بمستطاع لكل من آنس فى نفسه ميلا أو ذكاء أو مقدرة . لقد ظهر فى ميدان الثقافة رجال كبار من عامة الشعب أمثال موليير وديدرو وروسو ، لكنهم كتبوا لغير طبقتهم وما قرأهم إلا الذين توفر لهم الفراغ

تشاءم الناس لثورة أكتوبر العظمى التى حررت الأغلبية الساحقة من النير المستحكم على رقابها ، فقالوا وكرروا القول بأن الثقافة أساس مدنية الانسان مهددة بالتأخر والانقراض ، لكن الأمور برهنت على عكس ما توهموه ، فان النظام الجديد رحب بالثقافة وعمل على ازدهارها

ودلت التجارب على أن الخطر آتٍ من نظام الرجعة الذى ارتأته الطبقة السائدة . وقد اجتمع الكتاب لحفظ الثقافة فى مؤتمر وجدوا فيه أن الخطر عليها كان فى العناصر الفاشستية التى تبغى الهيمنة على الفكر وجعله أداة تسخره فى سبيل أغراضها ، وفى العناصر الوطنية المتطرفة البعيدة عن محبة الوطن الصحيحة ، وأخيراً وجدوه فى الحرب التى تسعى إليها تلك العناصر القائمة على البغضاء وحب الذات

لقد كان علىّ أن أرأس مؤتمر الكتاب المنوى عقده فى لندن ، لكن النبأ السيئ باشتداد مرض جوركى اضطرنى أن أشخص مسرعاً إلى موسكو . فى هذه الساحة الحمراء التى شهدت أحداثاً كثيرة سجل بها التاريخ صحائف بعضها فى الشرف والمجد ، وبعضها فى الخزى والعار ، وإلى جانب ضريح لينين العظيم الذى تصوب إليه أعين لا يحصى لها عد ، أعلن بالنيابة عن الكتاب المجتمعين فى لندن وبالأصالة عن نفسى أن حفظ الثقافة وتقدمها معلق بأهداب الرجال القائمين بالحركات الثورية التقدمية ، ومصيرها منوط بمصير الاتحاد السوفييتى الذى نحميه نحن الثوريين بكل ما أوتينا من قوة

إن فوق كل مصلحة لأى شعب على هذه البسيطة مصلحة تجمع بين الطبقات العاملة المشتغلة الموزعة بين هذه الشعوب ، وإن فوق كل أدب ناطق بلسان من الألسن ، أدبا إنسانيا يعمل على نشر ما فى كل أدب خاص من الفضائل ؛ وقد وصفها ستالين بقوله : « وطنية فى الشكل ، اشتراكية فى الأصل »

لقد قلت مراراً بأن الكاتب بقدر ما يكون ذاتياً مخلصاً لذاتيته ، تكون غاياته سامية وعامة . وليس من كاتب روسى شديد الميل لروسيته مثل مكسيم جوركى ، لذلك فانا لانجد كاتباً روسيا ذاع صيته وكثر قراؤه مثل مكسيم جوركى

شاهدت أمس الجماهير الغفيرة التى جاءت تلقى التحية الأخيرة على جثمان جوركى المسجى على فراش الموت ، واسمحوا لى إذا صارحتكم ، بأنى ظللت أسرح النظر فى هذا الموج المتدفق من الأطفال والنساء والعمال الذين كان جوركى صديقهم وترجمانهم ، بنشوة وإعجاب ؛ لكن نشوتى لا تلبث أن تنقلب إلى ألم يحز فى قلبى كلما تذكرت بأن كل هؤلاء فى غير

فلسطين

بقلم أبو سلمى

هذى الدماء من وراء الأبدِ … تصيح : أين العالَم المحمدى

لا روحه تلهب آفاق الورى … أو نفســه تغفو على المهندِ

تحرر العبيــد فى أوطانهم … ولا أرى فيه سوى مستعبد

هذى فلسطين استحالت حَرَماً … مقدّساً فقبلوا الترب الندى

من كل قطرٍ عربىٍّ فتيةٌ … ثائرة ترعى أصـول المحتد

هبّت على الوادى وأجرت دمها … متّحــدا ، يا للدم المتّحِد !

فيه من الخلود أزكى طيبه … وهو يَدُ الثورة بل أسمى يدِ

* * *

أخت صلاح الدين عشت حرّةً … تأبى لك العلياء أن تهوّدى

دعى «عصابة اللصوص» جانباً … واعتمدى على بنيك اعتمدى

كم وعدوا ؟ ! إن الرصاص وحده … هو الذى يُنجز كل موعـد

معركة اليرموك هــذا نقعها … يروح فوق هامنا ويغتدى

يُطلّ من بين العصور عاطراً … فيه من الماضى عبير السؤدد

كل شعوب الأرض فى جهادها … تمشى على آثارنا وتقتدى

أيامنــا تطوى دهوراً جمة … النار فيها تنتهى وتبتدى

* * *

الاتحاد السوفييتى ، من الذين لا يسمح لهم بالدخول إلى مثل هذه القاعة ، وهم من الطبقة التى كتب لها الشقاء ، وحرمت عليها لذة العلم والتثقيف ، كأنما ألصق على باب حديقة العلوم (ممنوع الدخول ، هنا حديقة خاصة) ولكن إعجابى لا يلبث أيضاً أن يصبح كمداً يقطع فى أحشائى كلما شعرت بأن ما يبدو لهم طبيعياً ما زال عندى شيئاً خارقاً يدهش له حسى وبصرى ، فلا أتمالك كلما ذكرت أو شعرت بذلك عن إرسال عبرة

ماجد شيخ الأرض

يا قائد الثورة ســعّر نارها … وزجّ فى قاع السعير المعتدى

واخضب لياليها دماً واسمع صدى … قول الزمان : يا كواكب اشهدى

واطلع على الأيام وانشر وهجاً … فيـه سنى الجهاد والتمرّد

واخلع على الجبال أبراد العلى … حق لها يوم اللقا أن ترتدى

وقدْ فلسطين إلى تاريخها … وقل لها سودى وإلا استشهدى

* * *

أمّ العروبة اضحكى يا أمّنا … فكلُّنا اليــوم أبرّ ولد

يهفو إلى بيض الصفاح باسما … الخود قبل الشيخ قبل الأمرد

تنثر ما فوق الثرى قلوبنا … لينبت استقلالنا بعــد غد

فيا قلوب الثائرين أنشدى … على المدى ويا سفوح رددى

(فلسطين) … أبو سلمى

المجنونة

بقلم عثمان حلمى

فى غابة مجهـولة السرِّ … مملوءة بالشـوك والزهرِ

أبصرتها فى ظلمـةٍ تجرى … من خلفها ولدانها تجرى

إنسـيّةٌ هى أو لسرعتها … جنيّةٌ فالعين لا تدرى !

تبكى وتضحك فى تقلبها … بمدامعٍ تجرى على النحر

وبكاؤها سحرٌ فإنّ لها … قلباً يضمّ صلابة الصخر

تقسو وتعطف فهى غاضبةٌ … فى حين تُبدى باسم الثغر

وتكاد تذهل من تلونها … فكأنّها الحرباء فى قفر !

سحرتْ بنيها فهى ساحرةٌ … بالطبع لم تعكف على سحر

فتّانةٌ تغرى مظاهرها … أمّا الحقيقة فهى كالقبر !

فتنتْ بنيها فهى غانيةٌ … فى العين منهم بل وفى الفكر

وهى العجوزُ ، هى العجوزُ إذا … ذكرتْ تبوء بأشنع الذكر

لكنها معبــودةٌ أبداً … منهم ، لعل لذاك من سرِّ !

كمْ بُلِّغوا عن غدرها قصصاً   وأقاها الملوم بالغدر !
وهمو سكارى فى محبتها   من غير ما كأس ولا خمر
وهمو حيارى فى وجودهمِ   ووجودهم كسحابةٍ تجرى
أبصرتها فى الغاب جاريةً   صخّابة مسدولة الشعر
وتكادُ تغضبُ حيث لا تدرى
وتكادُ تبسم حيث لا تدرى
تغذو بنيها حين تفجعهم   فى أنفسٍ صيغت من الشرّ
ورأيتها فى الغاب تأكلهم   أكلا ولكن أكل مضطر
ولقد أراها جدّ ساكنة
من بعد طول الضحك والبِشْرِ
ظلّتْ طويل الدهر عابثةً   بهمو وهم فى غمرة الدهرِ
حتى توارى الكلُّ عن نظرى
بين النجود وشامخ الصخرِ
مجنونة دنيا كمو ، وكفى ، بىَ ما أبنتُ لها من السّرِ !

(الاسكندرية)   عثمان حلمى

فى ربى لبنان

بقلم عبد الوهاب أدهم

قف حىِّ لبنانَ وانظر حسن لبنانا
إن كنت مثلى كئيب النفس أسوانا
فى كل بقعة أرض أيكة برزت
توحى إلى النفس أحلاماً وسلوانا
يعانق الأرزُ فيها الأرزَ مغتبطا   ويسحب الدّوح أذيالا وأردانا
ترقرق الماء فى أنحائها فغدت   خمائلا ، وغدا لبنان بستانا
والطير يرقص من لهوٍ ومن طرب
فيملأ الأرض أنغاماً وألحانا
تبارك الله ! ما أسمى بدائعه   فكيف أضمر بهتاناً وكفرانا ؟

* * *

لبنان ! يا جنّة الدنيا وزينتها   خلّفتُ قلبى غداة البين ولهانا
ما زلت أذكر «فالوغا» و«عاليةً»
و«بَحْمَدونَ» و«شاغورا» و«حمّانا»(1)
حتى امتطيتُ إلى «الفيحاء» هادية(2)
تطوى بىَ الأرضَ أنجادا ووهدانا

***

يا أهل لبنان ! إنا أمة قبضت   نواصى الأرض أحقاباً وأزمانا
لا تأنفوا أن تقولوا : إننا عربٌ   كم أبقت العرب للأقوام إحسانا
والحرّ يفخر بالأنساب فافتخروا   بعبد شمسٍ وقحطان وعدنانا
إن دال سلطانهم فالدهر ذو عجب
يهوى الأبىُّ ويسمو النذلُ أحيانا

* * *

أشبالَ «غسان» هبّوا من ضلالتكم
ألهاكمُ الغىُّ عن رُشدٍ وألهانا !
«غسّانُ» باقٍ على الأيام مفخرة
فهل سعيتم لِتُحيوا مجد «غسانا» ؟ !

(دمشق)   عبد الوهاب أدهم

---

(١) أسماء مصايف فى لبنان
(٢) الهادية من الخيل والابل هى التى تتقدمها وتكون فى أوائلها ، والمقصود بها هنا : السيارة

مخطوطات قديمة

المخطوطات القديمة النادرة الوجود ، يهتم بجمعها وحفظها صاحب مكتبة العرب بشارع الفجالة ، جمع الكثير منها فى الأدب والتاريخ والشعر ، والروحانى والفلك والطب ، والجفر والزيج ، وخلافه من الكتب الاسلامية والمصاحف الأثرية ؛ كما أنه مستعد لشراء مثل هذه الكتب بأثمان جيدة . والمكتبة فهرس بالمطبوعات يرسل مجاناً

القصص

قصص مختارة من الأدب التركي (١)

النار الموقدة . . .

لمحمود يساري بك

أثبتت مرفقيها فوق المنضدة ، وأسندت رأسها بكفيها وعيناها السوداوان شاخصتان نحو نقطة مجهولة وهي تفكر ، وكان نظرها الحاد يرسل شعاعاً زاد في لمعانه سواد المقلتين ولون الكحل الحالك

وها قد مضت بضع دقائق بدون أن تمس شفتاها هذا القدح البلوري وتذوق هذا الشراب السائغ

لم كانت غارقة في بحر عميق من التفكير ؟ وما الذي كانت تفكر فيه ؟ وما عسى أن يدور في هذا الرأس المتوج بالشعر الأصفر المقصوص على آخر (مودة) ؟ وهل هي كاذبة حتى في تفكرها العميق يا ترى ؟ وهل يحاول هذا الرأس أن يخدع نفسه أيضاً ؟

نظرت إليها نظرة الفاحص المدقق ، فوجدتها قد غيرت شكل حاجبيها بالنقوش والتخطيط الأسود لحرمته تلك الصورة الطبيعية التي صورها الخالق فيها . أما الحمرة التي تبدو على وجنتيها فلم تكن ذلكم اللون القرمزي الذي ابتدعته يد القدرة فيها ، بل كانت من مفعول الأصباغ ، وأضاع هذا أيضاً شكله الطبيعي . ونظرت الى شفتيها فاذا لونهما ليس ذلك اللون القانئ الذي أودعته يد القدرة في شفتي حواء ! . . ثم استمعت الى حديثها فاذا صوتها ليس ذلك الصوت الملائكي الذي كانت تناجي به أمها وهي في المهد صبية ، بل يكاد يكون خشناً من تأثير الخمر والسهر

— فيم تفكرين ؟

ظلت جالسة في مكانها لا تتحرك ولا تتململ ولم تجب على سؤالي هذا بغير أنة طويلة

— أوه . . .

ولو كان بين ذرات الهواء بارود لأشعله هذا الشهيق الذي خرج من صدرها كما يشتعل الغاز إذ تمسه نار

— إنك تتألمين هذه الليلة

— إني أحب . . .

— أوَ تحبين أنت ؟

وكانت لا تزال محافظة على هيئتها . .

— إنك لا تصدق ذلك ، أليس كذلك ؟

كانت جالسة معي كي أنعم عليها بثمن شرابها ، وكنت أعرفها منذ أمد بعيد . . . منذ صباها ، ولم تنس أن تفاتحني ساعة أن اقتعدت مقعدها بجانبي بعزمها على الشرب بقولها :

— أريد أن أشرب اليوم

ولم أرفض رجاءها هذا فأمرت لها بقدح من الشراب لا إكراماً لسواد عينيها ولا حباً بجمالها ، بل شفقة عليها ورحمة بها ، فلقد كنت أراها كئيبة حزينة هذه الأيام

— ومن تحبين ؟

فرفعت رأسها من بين يديها كمن أفاق من ذهول عميق وأجابت :

— إن من أحبه « نكرة »

وكأن سؤالي هذا قد أثار منها سراً دفيناً وهاج لها ذكرى أليمة حتى راحت تحرق الأرم وتهدد الهواء بقبضتها كمن يتوعد أحداً . . . فتفرست في وجهها ملياً

فدمدمت بكلمات غامضة . . .

— لمَ تتفرس في وجهي هكذا كأنك تعرفه ؟ أو كأنك تقول لي بأنه (معلوم) لديك ! إنه « أحد النكرات » ! .

فلا تتعب نفسك في معرفته سدى !

(١) اسم لكتاب تحت الطبع سيصدر قريباً ، وهو مجموعة خمس وعشرين قصة لأحسن الكتاب الروائيين ومشاهير القصاصين الأتراك نقلها إلى العربية السيد خلف شوقي الداودي من كبار أدباء العراق

قالت ذلك وأنشبت أظافرها الحادة في خديها من فرط تأثرها وابتسمت ابتسامة الحزين طفح كأس اصطباره :

« هو أحد (النكرات) أما إنه لم يكن كذلك ؟ فلأن هؤلاء (النكرات) يفهمون أقوالنا ويتكلمون مثلنا ويشعرون كما نشعر . ويرون كما نرى ! أما أنتم ! فان تكلمنا معكم اضطررنا إلى أن نزن كلامنا كلمة كلمة وقلوبنا تخفق رعباً ، خوفاً من أن تعثر ألسنتنا وتلفظ كلمة سهواً فنصبح أضحوكة في نظركم ! وإذا تكلمتم أنتم أصغينا إليكم بكل حواسنا حتى نفهم ما تقولونه . . . وترانا نعمل المستحيل حتى لانظهر أمامكم بمظهر الجاهل الغر والأحمق البليد ! ولا أقول أنتم معشر « المهذبين » المثقفين – لا تحبوننا نحن معشر النساء ، كلا فأنكم تحبوننا ولكنكم تريدون من « المرأة » أن يكون شعورها وعواطفها جميلة ، مصبوغة ، مزينة ، رقيقة كوجهها وشفتيها وأظافرها ! ولا تكلفون أنفسكم مشقة فهم المرأة ، وإنما تريدون من المرأة أن تفهمكم !

– أو تحبين ؟ !

وكان صوتها يزداد اضطراباً كلما ازدادت حزناً

– « لقد أصبت في سؤالك هذا !

– وكيف أصبتُ في سؤالي ؟

– لأنك عنيت به في الحقيقة . . أيمكن أن أحبَّ أنا ، أو نحب نحن ؟ حقاً أنحب نحن ؟ أو تصدق أنت ذلك ؟ لقد سألت نفسي أنا مراراً . . فلقد تمرّ من أدمغتنا أفكار عوجاء وهوجاء ، وتربنا الأيام حوادث عصيبة رهيبة تدك أعصابنا دكا فتجعلها واهنة القوى ضعيفة التفكير معدومة المقاومة تفقد معها خاصة التفريق بين الشعور الذي نشعر به من صميم القلب ، وبين الاحساس الذي نحس به لمجرد اللهو والعبث ، وفي أيهما نحن صادقون ... ومن ثم أنتم ! ... آه منكم ! ! قالت ذلك وصرت أسنانها وضربت الأرض بقدميها كمن يحاول أن يسحق شيئاً سحقاً ، أو يقطعه إرباً إرباً . نحن نخدعكم ما دمتم على وجه البسيطة ونسيء إليكم دواماً . أليس كذلك ؟ ولكن ماذا تقولون في الاساءة التي تسيئون إلينا بها أنتم معشر الرجال ؟

أكبر الاساءة التي ترتكب نحونا هي إساءتكم . . نصدق لكم قولاً وفعلاً فلا تثقون فينا ! وإذا ما أحببناكم فلا تصدقوننا ! نقسم لكم الأيمان المغلظة فلا تؤمنون بنا ! ! وتشتبهون حتى في طعامنا وفي شرابنا ! والشبهة مرض يسري إلينا أيضاً وينشب أظفاره فينا ، ونأخذ نشتبه حتى في أنفسنا فنحب ، فتأتي الشبهة على بالنا فتحملنا على الشك في حبنا هذا ! وتنغص منا العيش .. وتتسع دائرة الشبهة هذه فلا نثق حتى في أنفسنا !

تحسبون أننا نحب من أجل المال . أو يظهر أننا نحب من أجل المال ! وأضرب لك مثالاً . . أنا ذلك المثال . فأنا أيضاً امرأة أحب من أجل المال ، أليس كذلك ؟

قالت ذلك وتوقفت عن الكلام ومدت يدها إلى القدح الذي كان أمامها فشربته إلى الثمالة

لم يصدقوا أنني أحب حقاً . . . وهذا الرجل الذي أحبه أيضاً يعطيني كل ما يربحه من عمله وأرد له عطاءه . فيصرّ هو أيضاً ... يظن أنني ما أحببته إلا من أجل المال ! هو أيضاً . . . هو أيضاً . . .

وكانت أكتافها تهتز من شدة انفعالها

حيث أننا لانحب .. وأن قلوبنا قدت من صخر .. أو أنها لا تعرف للصدق معنى وحبنا كاذب .. وأن أساسنا كاذب ... »

وكانت عيناها تنظران نحو الباب . وما كادت تلفظ الكلمة الأخيرة من كلامها حتى هبت مذعورة تطلب مني السماح لها بالذهاب

– أستميحك عذراً ، ها هو ذا قدجاء . قالت ذلك ومدت يدها تصافحني وعيناها شاخصتان نحوه ، فودعتها وأنا أنظر إلى القادم أتفحصه . . نظرت ملياً فرأيت « الخطاط » الأسود قد كسا حاجبيها لوناً غير اللون الطبيعي ، ولعب « النقاش » فيه فأضاع بلمبه ذلك الشكل الطبيعي الآلهي . . .

وهـذا اللون القرمزيّ الذي يعلو خديها ليس ذلك اللون الذي أودعه الله في الوجنات . . .

ونظرت إلى شفتيها فما رأيت فيهما تلك الحمرة الطبيعية التي تحاكي الدم القاني . . واستمعت إلى صوتها فاذا به قد فقد حلاوته ، وليس بذلك الصوت الملائكي الساحر الذي كانت تنادي به أمها وهي في المهد

وشيء واحد لم يتغير فيها ، ذلك هو عيناها ! . . .

لقد كانت عيناها تشتعلان بنار الحرص كما اشتعلت عينا حواء حينما نظرت إلى آدم لأول مرة . . !

محمود بساري

بيت الحظ !!...

بقلم عبد المعطى المسيرى

كان الشيخ مرسى غانم — أو الشيخ النزهى كما يسمونه فى القرية — جالساً مع نفر من القرويين ينصتون بانتباه للعمدة وهو يحدثهم نفس الحديث الذى يقصه كل ليلة منذ انتهى إليه أن سعادة المدير ونجله سيشرفان القرية ليقيم بها الابن بضعة أيام إراحة لأعصابه كما أشار الطبيب . وكان العمدة يتحدث فى هذه الليلة بحماس ، ويلقى التعليمات والأوامر بوجه متجهم وصوت أجش كعادته فى بعض الأحيان ، وذلك لأن المأمور أنبأه فى الصباح أن سعادة الباشا ستكون زيارته بعد الغد وأنه — أى المأمور — يهمه أن يهتف الأهالى بحياة الباشا وأن يكون بأيديهم سعف النخل وأغصان الأشجار وأن تستقبله النساء بالزغاريد ...

وانصرف شيخنا النزهى بعد أن عرف نصيبه فى هذا الاحتفال وهو أن يبعث زوجته وابنته زينب لتنظيف غرف المنزل المعد لنجل المدير وأن يكون مع المستقبلين الهاتفين ...

سار الشيخ صوب النهر الى أن أتى الشاطئ فخلع نعليه وشمر عن ساعديه وجلس يتوضأ ، وبعد أن انتهى من صلاة العشاء أخذ طريقه الى المنزل وهو يكثر من الحوقلة التى اعتادها عقب كل صلاة ، ولكنه كان فى هذه المرة يرددها بنغمة الأسف على تأخره هذا وتوقعه ضجر الزوجة والأولاد ...

دفع الباب واحتوته الغرفة فعاود الحوقلة بصوت عال ، وأحزنه أن يرى الطعام على المائدة الخشبية وحوله عائلته ، وقد غلب النعاس جميع أفرادها ، فبدأ بإيقاظ الزوجة ، وهذه أخذت تهز الأولاد من أكتافهم معلنة إليهم فى ابتهاج وفرح عودة أبيهم ؛ ثم أخذ الجميع يتناولون الطعام حتى أتوا عليه فقامت زينب — الفتاة الكبرى — وأتت بالماء فغسلوا أيديهم ومدت أختها يدها وتناولت أرغول والدها من شباك الحجرة وقدمته إليه ، بينما تدحرج أحمد الصغير خارج الغرفة وعاد وهو يدفع أمامه آنية نحاسية وضعها أمام أمه

تناول الشيخ أرغوله وبعد أن تثاءب وتمطى قربه من فمه ، فسرى الصوت فى فضاء الحجرة وتبعته نقرات الأم على الآنية النحاسية ، وأخذ الأولاد فى التصفيق متبعين نفس النغمة حتى حمى الوطيس ، وأخذت زينب تغنى أغنية ريفية مطلعها :

يَلْحِنَّا ، يَلْحِنَّا ، يا قطر الندى

ياشباك حبيبى يا عينى جلاب الهوى

وقامت فاطمة الصغيرة وتأهبت للرقص كعادتها حتى إذا أدركها التعب ارتمت على الأرض ليأخذ أحمد دوره ... خفت صوت الأرغول وسكنت النقرات والأصوات ، وساد فى جو الغرفة الهدوء الى أن عاود أحمد النشاط فنطق بأغنيته المحبوبة ياليل ياليل ... ثم عاد الشيخ لأرغوله مشجعاً ولده وطاب لهم أن يغنوا ثانية أغانيهم البلدية ، وعاد المرح وارتفع صوت زينب وتبعها الجميع مرددين مصفقين ، وقامت فاطمة للرقص ونافسها أحمد بحركات ساذجة تبعث على الضحك والسرور ، وبين آونة وأخرى يتعثر أحمد فيسقط على الأرض وأحياناً تسقط معه فاطمة فتتزايد القهقهة من الجميع الى أن أدركهم الكلال فنهضت زينب وقادت أمامها اخوتها الى الغرفة الثانية المعدة لنومهم

* * *

على هذه الوتيرة كانت تعيش عائلة الشيخ مرسى ، وعلى هذا الضرب كانوا يقضون لياليهم . أما فى النهار فكانوا يعملون فى الحقل بكل نشاط وابتهاج ، لكل منهم عمله حتى أحمد الصغير كان يتدرب على مراقبة البقرة التى تدور حول الساقية ...

حياة بسيطة لاتعقيد فيها ، كلها سعادة وكلها أمن واطمئنان : الشيخ يرى أن سعادته فى ابتسامة زوجته وفى نماء المحصول وصحة أولاده ، والأولاد يرونها فى هذا الحب المتبادل الذى يربط بين قلوب الجميع ، والزوجة تراها فى رضاء الزوج ومرح الأولاد

... وفى هذه الليالى الضاحكة حيث يرقصون وينشدون وكثيراً ما التمس سكان القرية السرور والفرح والترويح عن النفس فى بيت هذه الفرقة الموسيقية التى لم تعرف الشقاوة

الطريق الى أفرادها حتى أطلق سكان القرية على بيت الشيخ « بيت الحظ »

***

قبيل الفجر كانت زينب توقظ أمها وإخوتها لقضاء ما يلزم للمنزل وتهيئة الماشية واعداد الفطور استعداداً للذهاب الى بيت العمدة المعد لسكن « البك الصغير » وتم كل شيء وأخذت هي وأمها طريقهما الى بيت العمدة

قامتا بما يجب عليهما من غسل أرضية الغرف وتنظيف ماعلق بها من الغبار وغير ذلك ، وما وافت الظهيرة حتى كان كل شيء على ما يرام ، وحضر العمدة وجاءت على أثره سيارة كبيرة تحمل الأشياء التي يتألف منها الأثاث ، وأخذ الرجال في الترتيب وأصدر العمدة أمره إلى الأم وابنتها بتهيئة الطعام للرجال

بينما كانت زينب تعمل مع أمها سمعت صوت موسيقى رائعة ينبعث من إحدى الغرف فتركت ما بيدها وانطلقت إلى مصدر الصوت يدفعها حب الاستطلاع : نغمة جديدة تطرق أذنيها لأول مرة ، وعلى باب الغرفة وقفت تنصت للصوت المنبعث من جهاز الراديو مأخوذة لا تستطيع ضبط عواطفها ولا امتلاك نفسها

لم يكن يخطر ببالها قبل الآن أن في العالم غير أرغول أبيها وآنية أمها ، ولم تسمع أن هناك أغاني سوى تلك التي تغنيها ؛ نعم إنها شاهدت وسمعت فرقة الشيخ راشد التي تزور القرية من حين إلى آخر لتقيم الأفراح لعائلاتها ، ولكن زينب كانت تفضل دائماً حفلات منزلها ، وأين موسيقى الشيخ راشد من الموسيقى التي تسمعها الآن ؟ ؟ وعقب اسطوانة الموسيقى سمعت زينب صوتاً رائعاً حنوناً :

« اللى حبك يا هناه »

ثم موالاً بلدياً فرأت اختلافاً بيناً بين ما سمعت الآن وبين ما تسمع وتقول كل ليلة فأنكرت موسيقى منزلها ، بل أنكرت نفسها وصغرت أمامها الألاعيب التي يقومون بها كل ليلة وأيقنت أن في العالم لذة وسعادة أشهى وأمتع من لذتهم وسعادتهم

***

في مساء تلك الليلة كانت زينب تسمع أرغول والدها بملل وضجر كأن أذنيها لم تتعوداه ، وودت لو ينتهي الوالد لتذهب إلى حجرتها حيث تتمثل في هدوء ذلك الصوت الشجي الساحر ، وانتظر الوالد طويلاً أن يسمع صوتها ولكن دون جدوى ، وظن أن لعملها الشاق في بيت العمدة أثراً في ذلك فأذن لها في الذهاب الى النوم وهو لا يخفي كدره ، وأخذ يلعن الباشا والبك والعمدة لأنهم كانوا سبباً في حرمان زينب من قسطها في الغناء والسرور ، وحاول أن يشرك معه فاطمه وأحمد في الزمر والرقص ولكنهما آثرا أن يذهبا مع زينب ، ومضت تلك الليلة صامتة فاترة على غير المألوف

وفي الصباح كان البشر يلوح على محيا زينب عند ما علمت أن زوجة العمدة أرسلت في طلبها لاعادة نظافة غرف البك الصغير »

بعد أن أتمت ما أشارت به زوجة العمدة انسلت حيث غرفة الراديو وجلست القرفصاء بجوار الباب تنصت بنشوة غريبة ولذة قوية ، ودهشت إذ رأت فاطمة وأحمد يبلغانها غضب أمها لغيابها وقلقها ، ولكنهما لم يلحا عليها في الاياب واطمأنا لصوت الراديو ، وقفز أحمد على كتفيها يحاول رؤية مصدر الصوت من فرجة الباب ، وارتسم الذهول على وجه فاطمة واستولى على ثلاثتهم الصمت ، ولم ينتبهوا إلا على صوت العمدة وهو يحدث « البك » عند ما هما بمغادرة الغرفة لتناول الغداء ، والتفت العمدة إلى زينب فنهرها وأمرها بأخذ أخويها والرجوع إلى المنزل حتى لا تقلق أمهم

***

في هذا المساء لم تنهض فاطمة لمناولة والدها الأرغول ، ولم يتأهب أحمد للرقص وارتسم الوجوم على وجوه الجميع ، وفقدت تلك الفرقة الساذجة الانسجام والتجانس ، فرفع الشيخ يده وتناول الأرغول ، ولكن الأولاد نفروا واستنكروا هذا الصوت ، وفزعت زينب من نقرات أمها على الآنية النحاسية وملكها الحياء فلم تعد تغني ، وكيف تغني بعد أن سمعت « اللى حبك يا هناه ! »

لم يعرف الرجل حلا لهذه المشكلة ولم يقو على فهم الدافع الذي ألح على زينب فحال بينها وبين مشاركته في الغناء فتحول عنها إلى أخويها وأومأ اليهما أن يأخذا بنصيبهما ، ولكن فاطمة

فأفلت لتعبر عن تأففها وتأتأ أحد فقهم الشيخ السر ... !! قرأ في لغتهما المضطربة ذلك اللغز الذى أفسد حياته وذهب بسعادته

وحار الشيخ فى الأمر . لقـد سمع هو أيضاً وسمعت أمهم ولـكنهما لم يتأثرا ، وأدرك بفطرته أن الصغار على استعداد للتمرد والثورة ... أدرك الشيخ أنه ناضل نفسه لأنه آمن بأنه المغلوب إذا التمس السبيل الى حياة الترف فآثر أن يكبح جماح نفســه ويعيش بأحلامه ، وأدرك أن صغاره قد بهرهم النور وأن بريقه الساطع قد ألهب فى قلوبهم ناراً فثاروا على حياتهم المظلمة ... فلم يملك إلا التنهد العميق ... وأراد أن يلعن ذلك اليوم الذى جاء فيه « البك » الى القرية ، ولـكن الـكلام مات على شفتيه ...

ولأول مرة تراقصت الدموع فى عينى الشيخ وعز على الأم أن ترى هذا المشهد الذى لم تدرك سببه ، فهزت الأولاد وحاولت أن تدفعهم الى المرح ، ولـكن ذلك كان عبثاً ، فرمى الشيخ أرغوله وتمدد على فراشه يبكى سعادته الهاربة ...

ونهضت زينب فغادرت أخويها وهى تقلب بصرها فيما حولها من القذارة وتقارن بين ما ترى وبين الأثاث الثمين والصور الجميلة والموسيقى الرائعة الحنون ، وكانت تود لو أن حياتها كلها نهار حتى لاتقع عينها على منزلها هذا الذى صار كل ما فيه يجلب الى نفسها الحزن والأسف

وانتقل الرقص والمرح من بيت الحظ الريفى إلى بيت العمدة حيث المدنية يجذب ظلها هؤلاء السذج ويفرض عليهم سلطانه ، وبينما كان الأول للوجوم والامتعاض فى الليل كان الثانى للفرح والسرور بالنهار

وانقضت أيام البـك فى القرية ورحل بأثاثه وجهازه وترك وراءه أسرة سلبها سعادتها وأحلامها ... وبينما كانت سيارته تنهب الأرض فى طريقها الى المدينة كان الشيخ النزهى ينظر اليها والأسى يملك عليه نفسه ، حتى اذا غابت عن بصره حطم أرغوله وألقى ببقاياه فى النهر ... ؟

عبد المعطى المسيرى

البريد الأدبي

هـ . ج . ولز لمناسبة عيده السبعينى

يبلغ الكاتب الانكليزى الكبير هربرت جورج ولز H. G. Wells اليوم ، أعنى فى الحادى والعشرين من سبتمبر ، السبعين من عمره ، وبهذه المناسبة تستعد دوائر الأدب الانكليزى لتكريم الكاتب الكبير والاحتفاء بذكراه السبعينية . فى مساء الثالث عشر من أكتوبر يقيم نادى القلم الانكليزى مأدبة كبرى يدعو اليها أقطاب الكتاب من جميع أنحاء العالم ، ويتولى الكلام عن شخصية ولز ومواهبه الأدبية عدة من أكابر الكتاب مثل جورج برنارد شو ، وأندريه موروا ، وجوليان هكسلى ، وأرثر بليس وغيرهم

ونذكر بهذه المناسبة كلمة عن ولز وعن آثاره ؛ فهو اليوم فى طليعة كتاب انكلترا وكتاب العالم ، وهو كاتب اجتماعى من النوع الشامل (أنسيكلوبيدى) فله فى القصة ، وفى التاريخ ، وفى النقد ، وفى الاجتماع وغيرها . وكان مولده فى سبتمبر سنة ١٨٦٦ فى بروملى ؛ وكان أبوه رياضياً محترماً ؛ وقد وصفه ولز فى كتابه « لاعب الكركيت القديم The Veteran Cricketer » . ولم يتلق ولز أولاً تربية جامعية ، ولكنه انصرف منذ حداثته إلى القراءة وتأثر أيما تأثر بكتب أفلاطون وفولتير ؛ واشتغل أولاً صانعاً بمعمل أحد الكيميائيين ، وعكف على الدراسة فى نفس الوقت ؛ ورأى فيه ناظر مدرسته نجابته فعينه مدرساً معه فاستمر فى هذا المنصب حتى سنة ١٨٨٤ ، ثم رحل إلى لندن ، والتحق بمدرسة العلوم فى كنسنجتون ؛ وقد وصف هذه المرحلة من حياته فى قصته Ann Veronica ، التى يؤيد فيها قضية المرأة تأييداً قوياً .

ودرس ولز البيولوجيا والجيولوجيا والطبيعيات والفلك ؛ وفى أواخر ذلك العهد فكر فى أن يضع تاريخاً جامعاً للعالم . وحصل ولز أخيراً على أجازة العلوم بتفوق ؛ وعاد إلى الاشتغال بالتدريس ، مع الاستمرار فى الدرس حتى حصل على أجازة جديدة للعلوم من جامعة لندن فى سنة ١٨٩٠ . وفى ذلك الحين التقى بكاترين روبنس التى غدت زوجته فيما بعد . وفى سنة ١٨٩٣ أصيب ولز بصدع فى الأوعية الدموية أرغمه على ترك التدريس والانقطاع إلى التأليف . وكان أول ظفر أدبى حقيقى ناله ولز مقالاته فى مجلة « فورتنتيلى » بعنوان Rediscovery of rhe amique ؛ ثم كتب بعد ذلك عدة مقالات ورسائل علمية فى بعض المجلات الكبرى .

ومنذ سنة ١٨٩٤ يعالج ولز كتابة القصة وقد بدأها بكتابة « جزيرة الدكتور مورو Island of Dr Moreau » ، ثم أتبعها بقصة الزيارة العجيبة Wonderful Visit . وكان الصحفى الكبير ستيد أكبر عون لولز على إظهار مواهبه القصصية ؛ وكانت الصبغة العلمية تطبع قصصه الأولى مع خيال فائق متزن ؛ ونستطيع أن نذكر من هذه المجموعة ما يأتى : Stolen Basillus و Plabiner Story و Invisible Man و Sleeper Awakes و Tales of Space and Time و First men in the Moon و Food of the gods وغيرها

وعالج ولز بعد ذلك القصة الاجتماعية ، وعرض فى قصصه إلى مشكلة الحب والزواج والعلائق الجنسية ؛ ومن هذه المجموعة قصصه الآتية : Love and Mr Leursham و Kipps و Marraige

ولستر ولز ميول اشتراكية معتدلة تبدو فى كتاباته . بيد أنه ليس اشتراكياً بالمعنى السياسى ، وكل ما هنالك أنه يرى أن الاشتراكية يجب أن تطبق فى حدود اقتصادية معقولة بعيداً عن المؤثرات والعوامل السياسية

وأشهر كتب ولز تلك التى يعرض فيها إلى تنظيم المجتمع ؛ وفى هذه المجموعة يصل ولز إلى ذروة قوته وافتنانه ، ونستطيع أن نذكر من هذه المجموعة ما يأتى : The World of Wiliam Clissold وهى قصة ؛ God, the Invisible King ، وهو عرض فلسفى

وأما فى التاريخ فقد كتب ولز بطريقة جديدة موجزة ولكن قوية ؛ وأشهر كتبه فى التاريخ : Outline of History (سنة ١٩٢٠) Short History of the World (سنة ١٩٢٠) و Short History of Mankind (سنة ١٩٢٥)

ويعرض ولز نظرياته الاجتماعية عن طريق الأدب بجميع صنوفه ، ويمتاز فى ذلك بقوة لا نظير لها اليوم فى الأدب الانكليزى . وإليك طائفة أخرى من كتب ولز التى اشتهرت بتأثيرها الاجتماعى : A Modern Ubopias « The Corintry of the Blind » و In the Days of the Cemet و War in the Air و Secret Treasure و Un Dying Fire و Meanwhile و Places of the Heart و in the Forest و Mr Praham وغيرها

ولمستر ولز كتب كثيرة أخرى يضيق المقام عن ذكرها

جوستاف كان

توفى أخيراً كاتب وشاعر فرنسى كبير هو جوستاف كان زعيم النزعة الرمزية فى الشعر ؛ ومن الغريب أنه توفى فى ختام الحفلات التى نظمت هذا الصيف فى باريس احتفاء بهذا الضرب من الأدب . وقد ولد كان فى متز سنة ١٨٥٩ وتلقى تربية جامعية حسنة ودرس اللغات الشرقية واشتغل منذ فتوته بالصحافة . وفى سنة ١٨٨٧ ظهر ديوانه الأول بعنوان القصور الريفية Palais Nomades ، فكان فتحاً جديداً فى عالم الشعر ؛ ذلك لأن (كان) نزع فيه نزعة جديدة حرة كانت قدوة لجيل جديد من الشعراء ؛ وأتبع كان ديوانه الأول عدة مجموعات شعرية أخرى نذكر منها : « أغانى المحب » Chansons d' amant « والقصائد الأولى » Premiers Poèmes وعالم الأشباح Domaine de Fées والمطر والربيع La Pluie et le beau temps وغيرها

وكتب كان أيضاً فى القصة ، وله فى ذلك عدة آثار حسنة نذكر منها : (الملك المجنون) Le Roi Fon و (زهرات الهوى) Fleurs des passions ، و (الزانية الحساسة) L'adulterèSentimentale وله مجموعة قصص صــــغيرة عنوانها : (قصص هولندية) Contes Hollandais

وقد اشتهر جوستاف كان بمقدرته النقدية ؛ وكانت جولاته النقدية الأولى فى الشعر والأدب فى مجلاته التى أنشأها تباعاً مثل « La Vogu » و « Le Sympoliste » وكانت آراؤه النقدية نماذج حسنة للنقد القوى المتزن

ولجوستاف كان أثر ظاهر فى تطور الشــعر الفرنسى فى العصر الأخير

العلاقة بين الطلاق والجنون

من أنباء أمريكا الأخيرة أن إحصاءات اجتماعية دقيقة قد عملت فى أقسام الأمراض العقلية فى ولاية « مساشاست » لتعرف العلاقات الزوجية والأمراض العقلية ، وقد دلت هذه الاحصاءات دلالة واضحة على أن للزواج أثراً محسوساً فى ضبط الأعصاب وتحسن الميول العقلية . مثال ذلك أنه وجد أن معظم سكان المصحات العقلية أناس مطلقون بين رجال ونساء ، ثم يأتى بعد ذلك فى الترتيب العددى الأرامل رجالاً ثم الأرامل نساء ، ثم الأعزبون من الجنسين ؛ كذلك دلت الاحصاءات على أن نسبة المجانين من المتزوجين هى أقل النسب العددية بالنسبة لجميع الطوائف الأخرى

وهذه الملاحظات تقوم على دراسة عدد كبير من المصابين بأمراض عقلية يبلغ عددهم زهاء ٦٣ ألفاً فى ملاجىء نيويورك ومساشاست ، خلال خمسة الأعوام الأخيرة

حول قصيدة البلبل

بعثت إلىّ (الرسالة) بهدايا الشعراء والشاعرات والكتاب والأدباء المشكورين الذين ثارت فيهم نخوة الشرق العزيز فناصرونى بأغاريدهم العذبة الحلوة التى يضيق عنها نطاق هذه المجلة المحبوبة ، والتى سأحتفظ بها إلى الأبد تحية وذكرى . ولست أفضل أحداً من أصدقائى حين أرانى مضطرا إلى التنويه بشاعرة الزقازيق الحزينة (السيدة م . أبو السعود) التى نرجو لها — أنا وفتاتى — توفيقاً من الله العلىّ ، وبأن يهدى لها رجلها الغوىّ

أما أستاذنا العظيم (حسن جلال بك) فله منا أجزل الثناء وسنتخذ من كلمته العالية ، بعد كتاب الله ، نبراساً وحكمة

(ر ...)

أثر اسلامى هام

علمنا أن الجمعية الأسيوية البنجالية بكلكته فى الهند اقتنت أخيراً أثراً هاماً من أندر الآثار الاسلامية وهو كتاب « خريدة القصر » لعماد الدين الأصفهانى المتوفى فى القرن السابع الهجرى . والكتاب فى تراجم الشعراء فى عصر المصنف فى جميع البلاد الاسلامية العربية وهو كبير ولا يوجد كاملاً فيما نعرف فى مكاتب

العالم . وهذه النسخة أيضاً جزء من الكتاب ويحتوى على تراجم شعراء حلب وغيرها ، ولكن الذى يزيد فى قيمة هذه النسخة وندرتها أنها مكتوبة بخط المصنف

مخطوط نادر فى مكتبة الأزهر

فى أثناء نقل مكتبة رواق المغاربة الى مكتبة الأزهر العامة عثروا على مخطوط نادر هو نسخة من كتاب الذخيرة فى أصول مذهب الامام مالك ، للامام القرافى ، ولا يوجد من هذا الكتاب الا جزء واحد فى مكتبة الجامع الأحمدى بطنطا وقسم صغير فى دار الكتب المصرية

النشيد القومى — غلطة الكفر

المصيبة الكبرى فى هذا النشيد أنه موضوع على مبادئ (أتفره) من نقل ألفاظ الالوهية والشريعة وصرفها عن الله ودين الله الى الوطن . وهذا إلحاد فظيع إن جاز فى غير مصر لم يجز أن يكون فى مصر

يعين الدين الاسلامى معنى الآخرة ومعنى اليقين بالحساب والبعث ، فيجىء صاحب هذا النشيد فيقول : غرامك يامصر .. قصارى شعورى دنيا ودين ، وحبك آخرتى واليقين

إذن فلا آخرة ولا يقين بالآخرة

وكما يقال : تعالى الله ، وسبحانه وتعالى ، يقول صاحب النشيد : تعاليت يا مصر ! !

ويقول الله فى كتابه العزيز عن جنة الآخرة : « تلك الجنةُ التى وُعِدَ المتقون » ، فينقلها صاحب النشيد الى مصر ويقول :

ألستِ الكنانةَ فى أرضه « وموعود جنته والنعيم »

إذن فالجنة التى وعد المتقون هى مصر ، وإلا فما معنى قوله : (وموعود جنته) ؟

والطامة الكبرى قوله : وصوتك يا مصر وحى الآله

فتى أضيف الوحى الى الله فقد تعين معناه وخرج من كل المعانى اللغوية التى تفيدها لفظة الوحى كالاشارة والرمز ووسوسة الشيطان ، ولا يفهم أى مسلم على وجه الأرض من قولك : وحى الله ، أو وحى الآله ، أو الوحى الالهى إلا معنى واحداً . فكأن هذا النشيد موضوع عمداً لافساد عقيدة المسلمين وتشكيكهم فيها وحملهم على اعتقاد خلافها والنزول بألفاظ الألوهية والشريعة وتجرىء الناس عليها

ونحن لا نصدق أبداً أن وزارة المعارف تعمل لهذا الغرض باذاعة هذا النشيد . فان لم تعلن تبرؤها منه وتأمر بابطال إذاعته وتنشر ذلك فى الصحف كلها ، فقد وجب على الأزهر أن يتقدم الى المعركة ويفهم وزارة المعارف أن الآله الذى يعبده المسلمون ليس هو الآله رع ! !

وسنرى ويرى الشباب الاسلامى

س . ط
بكلية الآداب

حول النشيد القومى

راقنى ما كتبه الأديب « س ط » عن النشيد القومى وأرى تعقيباً على ذكر الغلطة الثانية « قصارى شعورى دنيا ودين » أن « دين » معطوفة على التمييز المنصوب فمن حقها أن تكون منصوبة منونة « ديناً » فاذا أريد الوقوف عليها انقلب تنوينها ألفاً فتصير « دينا » لا غير . ولا وجه لحذف الألف منها اعتذاراً بضرورة الشعر فليست هذه من ضرورات الشعر المباحة فتكون هذه غلطة مزدوجة

متولى أحمد كيوان

ديوانان جديدان للدكتور اقبال

علمنا أن الدكتور محمد إقبال الشاعر الفيلسوف الهندى الكبير صنف ديوانين جديدين فى الشعر أحدهما باللغة الأردية ، وسماه (صور إسرافيل) وهو تحت الطبع ، والآخر باللغة الفارسية وقد صنفه متأثراً من مرضه الأخير ومن الحادثة الفاجعة الشرقية وهى سقوط الحبشة أمام القوة الايطالية الغاشمة وقد سماه بشطر من البيت وهو (پس چه بايد كرد اى أقوام شرق) معناه « وماذا يجب أن نعمل أيتها الأمم الشرقية ؟ » وفى آخر هذا الديوان قصيدة طويلة خاطب فيها روح النبى عليه الصلاة والسلام للشؤون الاسلامية والشرقية الحاضرة وهو أيضاً تحت الطبع . ونحن نهنئ الدكتور على شفائه وإصداره هذين الديوانين ، وندعو الله أن يوفقه للكتاب الذى ينوى تصنيفه من زمن بعيد باللغة الانجليزية وهو « An interoduction for the Stupy » مقدمة لدراسة الاسلام »

السيد أبو النصر الحسينى الهندى